

ISSN 2394 - 6628

August 2017

# مجلة التلميح

مجلة عربية أدبية شهرية



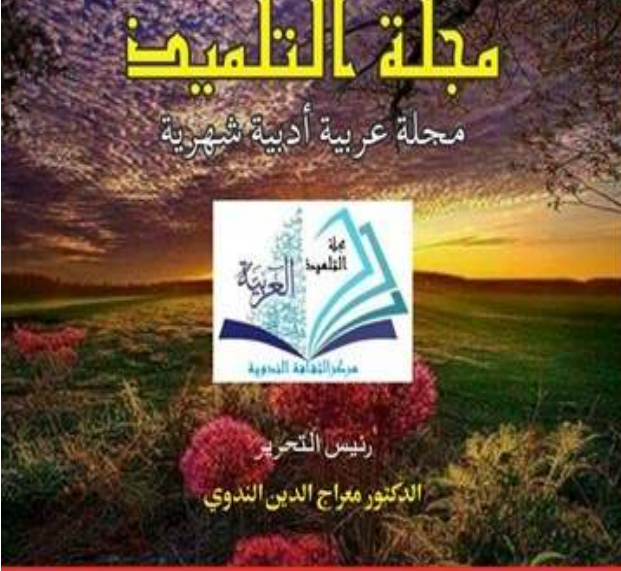
مجلة التلميح  
مركز الثقافة البدوية

رئيس التحرير  
الدكتور معراج الدين الندوي

The First Monthly Arabic Journal in J&K Since 2011

August 2017, VOL. 02 ISSUE 05

## AL - TILMEEZ





**PRINTED & PUBLISHED BY :**

Dr Meraj ul Din Nadvi on behalf of Nadavic Cultural Center  
 Pantha Chowk Srinagar Kashmir 191101 at Roshni Printing Press Srinagar.  
[www.tilmeezjournal.com](http://www.tilmeezjournal.com) [merajnadvi@gmail.com](mailto:merajnadvi@gmail.com) 9622169299, 9469771786

تصدر عن مركز الثقافة البدوية بآنته جوك سرينجر كشمير

## مجلة التلميذ

## محتويات العدد

|    |                                           |                          |
|----|-------------------------------------------|--------------------------|
| 03 | الإفتتاحية                                | رئيس التحرير .....       |
| 07 | درس من التنزيل .....                      | الدكتورة نورأفشان        |
| 10 | مسيرة الأخذ والعطاء والاستفادة .....      | د.عنايت الله واني الندوي |
| 16 | كتابة التاريخ المنتخبة للمصريين .....     | بشارت أحمد شاهين         |
| 26 | كتاب الأخبار للجاحظ .....                 | د. أورك زيب الأعظمي      |
| 35 | "في قافلة الزمان" رواية ثلاثة أجيال ..... | وسيم حسن راجا            |
| 40 | يوسف إدريس في نظر الكتاب المعاصرين .....  | أرشد أحمد بت شوباني      |
| 44 | معالجة الفن والمضمون في مقالات .....      | سيرت بتول                |
| 49 | مساهمة نواب صديق حسن خان في .....         | الدكتور منير أحمد مير    |
| 52 | مساهمة محمد مندور في .....                | چشمه كوثر                |

ولقد قمنا بإصدار مجلة عربية بعنوان "مجلة التلميذ: للدارسين والباحثين للغة العربية وآدابها في ربوع جامو وكشمير بالهند. كان هناك شعور متنامي منذ زمن بأن يقوم أحد علماء العربية في وطننا كشمير بإصدار مجلة عربية لمحيي اللغة العربية، فإن خطوتنا هذه تجاه إصدار المجلة تبشرنا بمستقبل أدبي صحفي زاهر. إن شاء الله \_ وبالمناسبة نأمل لو نال هذا المشروع الميمون نجاحا ملحوظا ليكون ذلك فاتح عهد جديد في تاريخ الصحافة العربية في " جمو وكشمير".

فالحاجة الماسة الى بذل جهود مركزة لترقية اللغة العربية وتنميتها في جمو وكشمير، فنحن نرجو من حضرتكم المساعدة العلمية والأدبية والمالية وارسال مقالاتكم الشيقة والانجازات الأدبية و أرائكم الثمينة.

شكرا مع أطيب التحيات

د.معراج الدين الندوي، رئيس التحرير لمجلة التلميذ مجلة أدبية شهرية صادرة عن مركز الثقافة الندوية، جمو وكشمير

[editor@tilmeezjournal.com](mailto:editor@tilmeezjournal.com) , 9622169299 , 9469771786

## الهيئة الاستشارية

|                                                                                                        |                              |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------|
| عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية ، الهند                                                 | البروفيسور كفيل أحمد القاسمي |
| رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية، الهند                                            | البروفيسور مسعود أنور علوي   |
| قسم اللغة العربية جامعة كشمير سرينجر                                                                   | البروفيسور صلاح الدين تاك    |
| رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير                                                                    | البروفيسور عبدالرحمن واني    |
| رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر                                                       | البروفيسور شاد حسين          |
| رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر                                                       | البروفيسور بيرزاده بشير أحمد |
| قسم اللغة العربية بالكلية أمرسينغ الحكومية سرينجر                                                      | البروفيسور مظفر حسين الندوي  |
| قسم اللغة العربية بكلية أمرسينغ الحكومية، كشمير سابقا                                                  | البروفيسور عبد الرحمن وار    |
| الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية، عليكرة                                     | الدكتور محمد يوسف خان        |
| الأستاذة المشاركة بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية،                                          | الدكتورة تسنيم كوثر          |
| المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب والمنسق العلمي بالمغرب، للجامعة الإسلامية بأوروبا. | د. زكرياء السرتي المغربي     |
| المسجل بالجامعة العنقودية سرينجر                                                                       | البروفيسور محمد يسين         |
| الباحثة والمتخصصة بمجال العلوم التطبيقية و التكنولوجيا بتونس                                           | هناء الجندوبي التونسية       |
| الباحث و الأكاديمي بالدوحة قطر                                                                         | د. قاضي عبدالرشيد الندوي     |
| رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه راجوري كشمير                                        | الدكتور شمس كمال أنجم        |
| رئيسة قسم اللغة العربية سابقة بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، كشمير                            | الدكتورة عرفاني رحيم         |

مجلة التلميذ  
مجلة عربية أدبية شهرية  
تصدر عن مركز الثقافة الندوية  
بانتة جوك سرينجر كشمير

الرئيس العام

البروفيسور محمد صلاح الدين العمري

نائب الرئيس العام

الدكتور ريجان أخترا القاسمي

الدكتورة نور أفشان الصالحاتي

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

مساعدوه

1- الدكتور محمد إرشاد الحق

2 الدكتور عنايت الله واني الندوي

3 الدكتور فاروق أحمد مير القاس

4- د. محمد ريجان الندوي

## لغة الضّاد

في عيون السلف الصالح والمستشرقين



الحمد لله رب العالمين، منزل الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، معلم البشرية الخير، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه إلى الصراط المستقيم .  
يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

"ما ذلّت لغة شعب إلا ذلّ، ولا انحطّت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار"

جننا بكلمة في هذه المقالة الوجيزة لنضع بين يدي القارئ الكريم لـ "مجلة التلميذ" مجموعة نقاط أساسيّة، تدور حول اهتمام السلف الصالح باللغة العربية، كي يتضح لنا الجميع حرص السلف الصالح على اللسان العربي الفصيح، وتحدّثنا فيه عن الآثار الواردة عنهم في حيّهم للغة العربية، واهتمامهم بها، وحثهم على تعلّمها، وكما سنذكر بعض آراء المستشرقين حول اللغة العربية .

اللغة العربية انزل الله بها كلامه المجيد القرآن الكريم وسعته لفظاً وغاية وحافلة بالماضي المشرق بأدبها وثرائها وخصوبتها، يحتم علينا أن نحرص على أن تصبح لغتنا الإسلامية والدينية أوفى ما تكون بحاجات العلوم والفنون كما كانت منذ قرون وكما يشهد ذلك تراثها العلمي العظيم حيث إنّها لغة حضارية راقية واسعة مستوعبة لكل جديد وبنيت على أصل يجعل شبابها خالداً فلا تهرم ولا تموت وأن تحيا لغة الضاد قوية دفاقة عذبة مرنة مهيمنة كسابق عهدها على جميع الميادين تطلب بها ومنها العلوم والمعارف والآداب والفنون وكل ما تقوم به وعليه الحضارة الإنسانية المعاصرة فشرف الأمة المسلمة في رقي لغتها ووجدت من بيان اللغة العربية معنى لا ينضب فيما يتسع بما آتاه الله من غزارة العلم حيث فاقت كثيراً من اللغات بكثرة المفردات والاشتقاق والتضاد والترادف والنحت والاستعارات والكنائيات والقياس والمجازات وشتى الأبواب تحمل من تراث الإنسانية أجله وأكملة واتسعت لحضارة بلغت مبلغاً عظيماً وجاءت في آدابها بالمعجزات حيث تملك رصيذاً ما زالت الأجيال تجتره وتمتّع من معينه، ولا ننسى في هذا المقام رجالاً لتاريخنا المشرق أعطوها نصيباً وافراً وخدموها خدمة الأبناء الأبرار وقالوا عنها وتحدثوا عن أسرارها ببيان رصين من أبنائها البررة وروادها ومن المستشرقين الذين يظهرون به فضل اللغة وإعجازها

ولا يخفى على أي مثقف أهمية اللغة العربية بين لغات العالم حيث إنها لغة الوحي والقرآن اختارها الله تبارك وتعالى وعاء لكلامه عز وجل لتكون وسيلة لإيصال الرسالة الربانية إلى الناس كافة، وفيها من الفصاحة والبلاغة ومن السعة والمرونة والحيوية ليس لغيرها من اللغات، وفيها من خصائص وميزات ليست لغيرها من اللغات، وهي لغة الجنة ولغة عدد من الأنبياء ولغة أفضل الرسل -صلوات الله عليهم أجمعين- وهي أول لغة في العالم اليوم يتعبد بها، وإضافة إلى ذلك تدل الإحصائيات أن اللغة العربية هي الثالثة اقتصاديا بعد الانجليزية والصينية، فلأجل هذه الأهمية البالغة نعرض فيما يلي بعض أقوال العلماء المسلمين والمستشرقين تتكلم عن أهمية اللغة العربية وفضلها وجوب الاعتناء بها وتعلمها، وكثير من العلماء يعد تعلمها واجبا على المسلم؛ لأنها أداة الدين، ولا يصل أحد من البشر إلى فهم هذا الدين فهما صحيحا إلا عن طريق هذه اللغة الغراء، ومن القواعد الفقهية "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، وفهم الدين لا يكون إلا باللغة العربية؛ لذا فتعلمها واجب على كل مسلم، وقد حرص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك أشد الحرص، حتى إنه سمع رجلا يلحن فقال: ((أرشدوا أخاكم))؛ (كنز العمال، 1989م، رقم الحديث 2809) وفي رواية "فقد ضل".

1: قال أبو عمرو بن العلاء كان يقول: "لَعِلَّمُ الْعَرَبِيَّةَ هُوَ الدِّينُ بَعِينُهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، فَقَالَ: صَدَقَ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ النَّصَارَى قَدْ عَبَدُوا الْمَسِيحَ لِجَهْلِهِمْ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْإِنْجِيلِ: "أَنَا وَلَدْتُكَ مِنْ مَرْيَمَ، وَأَنْتَ نَبِيِّ"، فَحَسْبُوهُ يَقُولُ: أَنَا وَلَدْتُكَ، وَأَنْتَ بُنْيَ، بِتَخْفِيفِ اللَّامِ، وَتَقْدِيمِ الْبَاءِ، وَتَعْوِيزِ الضَّمَّةِ بِالْفَتْحَةِ، فَكَفَرُوا"؛ (معجم الأدباء، 1: 10)

2: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم". (المفصل في أحكام الهجرة 4/135)

3: قال الامام الشافعي: "إِنَّ مِنْ جَهْلٍ سَعَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ وَكَثْرَةِ أَلْفَاظِهَا، وَافْتِنَانِهَا فِي مَذَاهِبِهَا جَهْلَ جُمَلِ عِلْمِ الْكِتَابِ، وَمَنْ عِلْمِهَا، وَوَقَفَ عَلَى مَذَاهِبِهَا، وَفَهِمَ مَا تَأَوَّلَهُ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِيهَا، زَالَتْ عَنْهُ الشُّبْهَةُ الدَّاخِلَةُ عَلَى مَنْ جَهْلَ لِسَانِهَا مِنْ". (تهذيب اللغة: الأزهرى 1/5)

4: قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإنَّ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ شِعَارَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ، وَاللِّغَاتُ مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الْأُمَمِ الَّتِي بِهَا يَتَمَيَّزُونَ". (اقتضاء الصراط المستقيم ص 203)

5: قال ابن تيمية رحمه الله: "وما زال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات وهو التكلم بغير العربية إلا لحاجة، كما نصّ على ذلك مالك والشافعي وأحمد، بل قال مالك: "مَنْ تَكَلَّمَ فِي مَسْجِدِنَا بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ أُخْرِجَ مِنْهُ" مع أنّ سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها، ولكن سوّغوها للحاجة، وكرهوها لغير الحاجة، ولحفظ شعائر الإسلام". (الفتاوى 255/32)

6: قال ابن تيمية رحمه الله أيضاً: "اعلم أنّ اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيّناً، ويؤثر أيضاً في مشابة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهم تزيد العقل والدين والخلق، وأيضاً فإنّ نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإنّ فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلاّ بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب". (اقتضاء الصراط المستقيم ص 207)

7: وقال أيضاً رحمه الله: "معلوم أنّ تعلم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدّبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي، ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والافتداء بالعرب في خطابها، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصاً وعباً". (الفتاوى 252/32)

8: قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "وإنّما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها ... (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ص 7)

9: يقول النّعالبي في كتابه "فقه اللغة وسرّ العربية": "إنّ من أحبّ الله أحبّ رسوله، ومن أحبّ النبي أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربية عني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها".

10: يقول الامام البنا في توصياته: "اجتهد أن تتكلم العربية الفصحى فإنّها من شعائر الاسلام".

11: قال مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: "ما ذلّت لغة شعب إلاّ ذلّ، ولا انحطت إلاّ كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة، ويركهم بها، ويشعرهم عظمتهم فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد: أمّا الأول فحبس لغتهم في لغته سجنًا مؤبداً، وأمّا الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوًا ونسيانًا، وأمّا الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع". (وحي القلم 33/2-34)

12: قالت المستشرقة الألمانية زيفرهونكة: "كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغفٍ، حتى إن اللغة القبطية مثلاً ماتت تماماً، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلّت إلى الأبد عن مركزها لتحتلّ مكانها لغة محمد". (مجلة اللسان العربي 86/24 عن كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب")

13: قال المستشرق الفرنسي رينان: "من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرُّحُل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقّة معانيها وحسن نظام مبانيها، ولم يُعرف لها في كلّ أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلاّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شيئاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدريج وبقيت حافظةً لكيانها من كلّ شائبة". (مجلة اللسان العربي 85/ 24)

14: قال الفرنسي جاك بيرك: "إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية". (الفصحى لغة القرآن - أنور الجندي ص 304)

15: قال الأستاذ ميليه: "إن اللغة العربية لم تتراجع عن أرض دخلتها لتأثيرها الناشئ من كونها لغة دين ولغة مدنية، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المبشرون، ولمكانة الحضارة التي جاءت بها الشعوب النصرانية لم يخرج أحد من الإسلام إلى النصرانية، ولم تبق لغة أوربية واحدة لم يصلها شيء من اللسان العربي المبين، حتى اللغة اللاتينية الأم الكبرى، فقد صارت وعاءً لنقل المفردات العربية إلى بناتها". (الفصحى لغة القرآن - أنور الجندي ص 303-304)

هذا غيض من فيض من أقوال العلماء أوردناها لنقف على أهمية اللغة العربية ونهتم بها، لأن الاهتمام بها وتعلمها والمعرفة بها من صميم الدين حيث إنها من شعائر الاسلام، ولا يمكن أن نفهم الكتاب والسنة إلا بمعرفتها فمعرفتها واجب ديني وفرض كفاية كما صرح به العلماء، فلماذا لا نعتز بها وهي لغة إسلامنا وهي هويتنا، وكل أمة تعتز بلغتها وإن لم تكن لغتها من اللغات الراقية، واللغة العربية من اللغات الراقية بل من أرقى اللغات إطلاقاً، فلا بد أن نشمر عن ساق الجد لتعلمها وفهمها ثم نشرها وترويجها في مجتمعنا وبلادنا، الله يوفقنا جميعاً.

## بسم الله الرحمن الرحيم

درس من التنزيل: الدكتور نور أفسان<sup>1</sup>

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4)  
وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا  
(8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ  
أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ  
بِذُنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15)

تدور هذه السورة المباركة حول موضوعين وهما:

1. مَوْضِعُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمَا جَبَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ.
  2. مَوْضِعُ الطَّغْيَانِ مُمَثَّلًا فِي قَوْمِ ثَمُودَ الَّذِينَ عَقَرُوا الناقةَ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ وَدَمَّرَهُمْ.
- أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ الشَّرِيفَةِ بِسَبْعَةِ أَشْيَاءٍ وَهِيَ " الشَّمْسُ، وَ الْقَمَرُ، وَ اللَّيْلُ، وَ النَّهَارُ، وَ السَّمَاءُ، وَ الْأَرْضُ، وَ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ " إِيْظَارًا لِعَظَمَةِ قُدْرَتِهِ، وَ انْفِرَادِهِ بِالْأُلُوْهِيَّةِ.
- وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا " : أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالشَّمْسِ وَضَوْئِهَا السَّاطِعِ وَإِشْرَاقِهَا وَحَرَارَتِهَا وَ نَفْعِهَا الصَّادِرِ مِنْهَا . أَي إِذَا أَنَارَ الْكَوْنُ وَبَدَّ الظَّلامَ
- "وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا" : وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَا الشَّمْسُ، وَحَلَّ مَحَلَّهَا فِي إِضَاءَةِ الْأَرْضِ بَعْدَ غُرُوبِهَا، أَي إِذَا سَطَعَ مَضِيئًا
- "وَنَهَارٍ إِذَا جَلَّاهَا" : وَأَقْسَمَ تَعَالَى بِالنَّهَارِ إِذَا جَلَّ الظُّلْمَةُ عَنِ الْأَرْضِ، أَي بِضِيَائِهِ، وَكَشَفِهَا بِنُورِهِ وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: إِذَا جَلَّ الْبَسِيطَةُ وَأَضَاءَ الْكَوْنُ بِنُورِهِ .
- "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا" : وَبَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ تَعَالَى فِي آيَاتِ الثَّلَاثِ السَّابِقَاتِ بِالضُّوءِ تَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ، أَقْسَمَ هُنَا بِاللَّيْلِ إِذْ يَغْشَى الشَّمْسُ، وَيُعْطِي ضَوْءَهَا. بَانْتِظَامٍ وَاتِّقَانٍ،

<sup>1</sup> المحاضرة المتعاقدة بجامعة كشمير، ومديرة التحرير لمجلة التلميذ سرينغر كشمير

وَقِيَامٍ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،  
وَأَنَّهُ الْمُعْبُودُ وَحْدَهُ، الَّذِي كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ قَبَاطِلٌ.

"وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا": وَأَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَمَنْ قَدَرَهَا أَيُّ  
أَقْسَمَ بِالْقَادِرِ الْعَظِيمِ الَّذِي بَنَى السَّمَاءَ، وَأَحْكَمَ بِنَاءَهَا بِلا عَمَدٍ.

"وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا": أَقْسَمَ اللَّهُ بِالْأَرْضِ مُشِيرًا إِلَى أَنَّهُ جَعَلَهَا مُمْتَدَّةً مُمَهَّدَةً، صَالِحَةً مِنْ  
كُلِّ جَانِبٍ، لِلسُّكْنَى لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ بِهَا، وَيَمَّا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ نَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ وَجَمَادٍ.

"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا": ثُمَّ أَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ وَخَلَقَهَا سَوِيَّةً  
مُسْتَقِيمَةً عَلَى الْفِطْرَةِ الْقَوِيْمَةِ أَيُّ أَنْشَأَهَا وَأَبْدَعَهَا، وَجَعَلَهَا مُسْتَعِدَّةً لِكَمَالِهَا، وَذَلِكَ بِتَعْدِيلِ  
أَعْضَائِهَا، وَقُوَاهَا الظَّاهِرَةِ وَالبَّاطِنَةِ، وَمِنْ تَمَامِ تَسْوِيَّتِهَا أَنْ وَهَبَهَا الْعَقْلَ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ بَيْنَ  
الْحَقِّ وَالبَّاطِلِ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالصِّدْقِ وَالكِذْبِ وَالرُّشْدِ وَالضَّلَالِ وَالتَّوَّابِ وَالمُعْصِيَةِ  
والتَّقْوَى والفجور، ولهذا قال:

"فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا": فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: إِنَّهُ أَلْهَمَ النُّفُوسَ الْبَشَرِيَّةَ مَعْرِفَةَ  
الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالحَقِّ وَالبَّاطِلِ وَأَعْطَاهَا الْقُدْرَةَ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا، وَالْقُدْرَةَ عَلَى الْاِخْتِيَارِ، أَيُّ  
عَرَفَهَا اللَّهُ الْفُجُورَ وَالتَّقْوَى وَمَا تَمَيَّزَ بِهِ بَيْنَ رُشْدِهَا وَضَلَالِهَا.

"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا": هَذَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ أَيُّ لَقَدْ فَازَ وَأَفْلَحَ ، مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بِطَاعَةِ  
اللَّهِ، وَنَمَاهَا وَطَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَخْلَاقِ الدَّنِيَّةِ وَالرَّذَائِلِ، وَطَهَّرَهَا مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي  
وَالْأَثَامِ وَنَقَّاهَا مِنَ الْعُيُوبِ وَعَلَّاهَا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ .

"وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" وَقَدْ خَسِرَ وَخَابَ مَنْ حَقَّرَ نَفْسَهُ بِالكُفْرِ وَالمَعَاصِي، وَأُورِدَهَا  
مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ فَجَعَلَهَا اللَّهُ ذَلِيلَةً خَسِيسَةً.

"كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا": كَذَبَتْ قَبِيلُهُ ثُمُودُ نَبِيَّهَا صَالِحًا بِسَبَبِ طُغْيَانِهَا وَإِفْرَاطِهَا وَبَغْيِهَا وَ  
تَكَبُّرِهَا وَعِنَادِهَا.

"إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا": أي: أشقى القبيلة، وهو "قِدَارُ بْنُ سَالِفٍ" لعقرها حين اتفقوا على ذلك، وأمره فأتَمَر لهم.

"فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا" فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحَذِّراً: اخْذَرُوا أَنْ تَمْسُوا نَاقَةَ اللَّهِ بِسُوءِ التِّي جَعَلَهَا لَكُمْ آيَةً عَظِيمَةً، وَلَا تُقَابِلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِسُوءٍ لَيْتَهَا أَنْ تَعْقُرُوهَا، فَكَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ صَالِحاً

"فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا": أي قَوْمٌ ثَمُودٌ كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ صَالِحاً فِيمَا قَالَ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ النَّاقَةَ هِيَ نَاقَةُ اللَّهِ وَقَتَلُوا النَّاقَةَ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى تَحْذِيرِهِ وَهِيَ نَاقَةُ اللَّهِ أَرْسَلَهَا آيَةً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ صَالِحٍ، فَأَقْدَمُوا عَلَى قَتْلِهَا وَلَمْ يُبَالُوا بِمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَأَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، وَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعاً. فَإِنَّ التَّغْيِيرَ بِالْذَّمِّ يَدُلُّ عَلَى هَوْلِ الْعَذَابِ، أَي: دَمَّرَ عَلَيْهِمْ وَعَمَّهُمْ بِعِقَابِهِ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الصَّيْحَةَ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَالرَّجْفَةَ مِنْ تَحْتِهِمْ، فَأَصْبَحُوا جَائِعِينَ عَلَى رُكَبِهِمْ، لَا تَجِدُ مِنْهُمْ ذَاعِيّاً وَلَا مُجِيباً.

"وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا": وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُلِّ صَرَاخَةٍ لَيْسَتْ فَوْقَهَا صَرَاخَةٌ بِأَنَّهُ لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ فِعْلِهِ فِي هَلَاكِهِمْ وَدَمَارِهِمْ، لِأَنَّهُ عَزِيزٌ لَا يُغَالِبُ وَلَا يُمَانَعُ، فَلَا يَخْرُجُ عَنْ قَهْرِهِ وَتَصَرُّفِهِ مَخْلُوقٌ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي كُلِّ مَا قَضَاهُ وَشَرَعَهُ.

#### المراجع والمصادر :

- |                                    |                                   |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| ابن كثير (ت 774 هـ)                | 1- تفسير القرآن الكريم            |
| الطبري (ت 310 هـ)                  | 2- جامع البيان في تفسير القرآن    |
| ت المحلي 864 هـ / ت السيوطي 911 هـ | 3- تفسير الجلالين المحلي والسيوطي |
| القرطبي (ت 671 هـ)                 | 4- الجامع لاحكام القرآن           |
| سيد قطب (ت 1387 هـ)                | 5- في ظلال القرآن                 |
| د. أسعد حومد (ت 2011م)             | 6- أيسر التفاسير                  |
| عبد الماجد دريابادي ((1892-1977))  | 7- تفسير ماجدي                    |
| ابوالأعلى مودودي ذوالقعدة ١٣٩٩ هـ  | 8- تفهيم القرآن                   |

## مسيرة الأخذ والعطاء والاستفادة والدفاع

بين

### سيد قطب وعباس محمود العقاد

د.عنايت الله واني الندوي

عاش سيد قطب حياة أدبية طويلة، تعرف فيها على كثير من الأدباء في بداية حياته، فقد أقام عند خاله الأديب الصحفي أحمد حسين عثمان، وعمره أربعة عشر عاما، وتعرف من خلاله على أستاذه في الأدب والسياسة عباس محمود العقاد، وامتدت صلاته بالأدباء والمفكرين أكثر من ثلاثين سنة، اتصل بهم والتقى معهم، ووافقهم أو خالفهم، وأيدهم أو عارضهم، سار معهم أو اصطدم بهم وجرت له مع بعضهم مناقشات طويلة واشتباك مع بعضهم في معارك أدبية.

إن اهتمام سيد قطب الأدبي والنقدي قد غط مساحة طويلة من عمره، قاربت خمسة عشر عاما، فقد تعرف على معظم الأدباء والكتاب، تعرف عليهم تعرفا فكريا، وليس تعرفا شخصيا. وكان بينه وبين بعض الأدباء صلات وثيقة متينة، كعبد القادر حمزة، أحمد حسن الزيات، توفيق الحكيم، عباس خضر، محمود أبو الوفاء، طاهر أبو فاشا، الدكتور طه حسين، أحمد زكي أبوشادي، توفيق الحكيم، إبراهيم عبد القادر المازني، يحي حقي، محمود تيمور، الدكتور محمد مندور، عبد الحميد جودة السحار، أحمد أمين، عبد المنعم خلاف، علي الطنطاوي، أنور المعداوي، نجيب محفوظ وغيرهم.

وإن كانت صلاته وعلاقاته مع كثير من الإدباء ولكن من الأدباء الذين توثقت صلاته بهم وطالت وترك أثرا كبيرا على سيد: عباس محمود العقاد.

مسيرة سيد قطب وعباس محمود العقاد

كانت صلة سيد بالعقاد في وقت مبكر من حياته، فما أن وطئت قدماه أرض القاهرة حتى بدأ يتعرف على ما فيها، ومن فيها، حتى وجد نفسه في مكتبة العقاد الضخمة، وأمام شخصية العقاد المؤثرة.

إن خال سيد " أحمد حسين عثمان " - الذي تربطه بالعقاد صلة أدبية سياسية حزبية - هو الذي عرف ابن أخته الفتى على الأديب الكبير، ومن يومها تتلمذ التلميذ على الأستاذ الأديب. وكان للعقاد تلاميذ كثيرون، من الشعراء والأدباء والكتاب، من أمثال : محمد خليفة التونسي، وعبد الرحمن صدقي، وأحمد مخيمر --- ولكن سيد قطب كان أبرز وأشهر وأنشط وأذكى تلميذ في المدرسة العقادية.

وبينما ذاب تلاميذ آخرون في شخصية أستاذهم العقاد، وتحولوا إلى مجرد شارحين لأفكاره وقطعوا أشواطاً في الأدب، ولكن سيد قطب تمتع بشخصية قوية مستقلة، لم تذب في شخصية أستاذ. ولكن قد غالى سيد قطب مغالاة ملحوظة في نظرته للعقاد وحديثه عنه، ولقد مرت عليه فترة طويلة وهو لا يرى في سماء الأدب إلا العقاد، ولا يلمس إلا جوانب من عبقرية العقاد، ولا يتذوق إلا شعر العقاد!! فالعقاد عنده هو الأديب العالم، والفيلسوف المفكر، وأشعر شعراء العالم، وكل أدباء وشعراء العرب لا يساؤون شيئاً إذا قورنوا به! واعترف بذلك سيد قائلًا: "أنا لا أنكر أنني شديد الغيرة على هذا الرجل، شديد التعصب له، وذلك نتيجة فهم صحيح لأدبه، واقتناع عميق بفطرته، لا يؤثر فيه أن تجف العلاقات الشخصية بيني وبينه، في بعض الأحيان"<sup>2</sup>.

سيد يدفع ثمن دفاعه عن العقاد

لقد وقف سيد إلى جانب العقاد سنوات طويلة ودافع عنه في كل مجال، وبكل وسيلة، دافع عنه في كتبه ومقالاته ومحاضراته، وندواته وجلساته وأحاديثه.

وقد استفاد سيد من صلاته بالعقاد ومن دفاعه عنه، عندما كان العقاد في حبوحة العيش، وفي انسجام مع حزب الوفد، الذي كان يملك الكثير في ذلك الوقت، استفاد سيد من العقاد الشهرة والذكر والنبوغ، حيث قدمه العقاد إلى مجلات الوفد وصحفه ورجاله، فشارك سيد في ذلك بفاعلية وهممة ونشاط.

ولكن العقاد خرج على حزب الوفد، وهاجمه بشدة، فحاربه رجال الحزب في كل مجال، وبكل وسيلة وحاربوا تلاميذه، وصار الكتاب ينفضون عن العقاد، وأصبحوا لا يجرءون على مدحه، والكتابة عنه في الصحف والمجلات.

<sup>2</sup> سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ص، 139-140 الخالدي

أما سيد قطب، فقد كان وفيا لأستاذه، حيث وقف معه في محنته، واستمر يدافع عنه، ويهاجم خصومه. وقد دفع سيد ثمن هذا، يحدث عن الثمن الذي دفعه بقوله:

"أما الدفاع عن العقاد فيكلفني التعرض لغضب الكثيرين من ذوي النفوذ في هذه الوزارة - وفي كل وزارة- ومن بينهم كثير من رؤسائي، في وزارة المعارف نفسها، لأن العقاد رجل لم تبق له قولة الحق صديقا من السياسيين، وكثير ممن يظهرون صداقته يكتنون له غير ذلك لأنهم ينفسون عليه شموخه واعتداده بنفسه وتعالیه على الضرورات. ويكلفني خصومة الأدباء من المدرسة القديمة والحديثة على السواء، فأما أولئك فسبب سخطهم معروف، وأما هؤلاء فلأنهم ينفسون على العقاد أن يعطيه ناقد بعض ما يستحق من تقدير، ومن لا يعرف هذه الحقيقة، فأنا - وقد أتاحت لي الظروف الاطلاع على داخلية كثير من الصحف والأدباء - أعرف ذلك، وأعرف أن الكلمات التي يقدّر فيها العقاد، لا تجد طريقها سهلا للظهور في الصحف على اختلاف أهواءها ونزعاتها السياسية، واختلاف المتفرجين عليها من الأدباء وغير الأدباء.

ويكلفني خصومة كثير من ناقصي الرجولة - وهم أعداء العقاد الطبيعيون - وكثير من ناقصي الثقافة، الذين لا يفهمون العقاد، فيحملون تبعته عدم فهمه، ولا يكلفون أنفسهم عناء الدرس والثقافة! وكثير من مغلفي الطباع، الذين يستغلون أمام كل أدب حي. وكثير وكثير ممن يؤلفون أكثرية القراء في هذا البلد المنكوب ---

وقد يفهم هؤلاء النفعيون، أن للعقاد الآن نفوذا ننتفع به، فلهؤلاء أقول: إن للعقاد نفوذا نعم، ولكنه لا يستخدمه في قضاء المصالح، وتنفيذ الأغراض --- وذلك بغض النظر عن طبيعتي الخاصة في الانتفاع بنفوذ الأصدقاء، ذلك الانتفاع الذي يبدو غير مفهوم، حينما كنت أناصر العقاد وهو خصم الوزارات القائمة وأوقع على ما أكتبه بإمضاء الصريح، في أخرج الأوقات ---"<sup>3</sup>.

سيد قطب ذو شخصية مستقلة في صلتته بالعقاد

ما كان سيد مجرد تابع للعقاد، ولم يكن ظلا للعقاد وقت الظهيرة! - كما اتهم صلاح ذهني - ولم تفن شخصيته بشخصية العقاد.

لقد كان سيد ذا شخصية مستقلة في صلتته للعقاد وتعامله معه وتلقيه منه وتذوقه لأدبه.

<sup>3</sup> سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ص، 139-140 الخالدي

كان العقاد وسيد شخصين متميزين، وشخصين مستقلين، يتفقان في كثير من المسائل، لكنهما يختلفان أحيانا في بعض المسائل الأدبية والنقدية.

استمر سيد في استقلاليتته في فهم الأدب والشعر، رغم تلمّذه على العقاد، وموافقته لأستاذه في كثير من آرائه الأدبية والنقدية. ولكنه كان يعلن مخالفته للعقاد في بعض المسائل الأدبية والنقدية ويكتب هذا في الصحف والمجلات، ولا يهمله إن رضي أستاذه العقاد أو لم يرض، المهم عنده أن يقول ما يعتقد، كان يكتب هذه المخالفة وذلك النقد ويجهر فيه.

وقد ذكر سيد لأحمد فؤاد الأهواني عن الصلة بينه وبين العقاد، باعتبارهما شخصين، يتمتع كل منهما بشخصية مستقلة وعن مخالفته لبعض آراء العقاد في الشعر والأدب: "حتى العقاد وصلتي بشخصه معروفة وصلتي بأدبه أوثق مرات من صلتي بشخصه - ولو فهم الكثيرون غير هذا - كتبت عنه في كل مرة بالعقيدة الفنية التي اعتقدها.

وقد يبدو فيما كتبه أخيرا عن "العقاد الشاعر" في "كتب وشخصيات" أنني أختلف معه في بعض الأحيان، على تعريف الشعر وتذوقه، وعلى النظرة إلى العاطفة وأطوارها. ولكنه اختلاف الرأي والإحساس، الذي لا بد أن يقع بين شخصية وشخصية، متى تبلورت الشخصيتان وظهرت معالمهما واضحة، ولو كانتا شخصيتي التلميذ والأستاذ<sup>4</sup>.

بقي سيد يبتعد عن المدرسة العقادية في الشعر والأدب والحياة تدريجيا وينتقد فهم العقاديين للشعر والأدب في مناسبات عديدة، ويخص بانتقاده أستاذ المدرسة "العقاد" كثيرا. إلى أن أعلن خروجه على المدرسة نهائيا، وانفصاله عنها كليا، ومخالفته لمنهج وفهم العقاد في الأساسيات والأصول.

نفهم ذلك جيدا خلال الفقرات الهامة الكاشفة التالية:

"لقد آن لنا أن نفهم الشعر، لا على طريقة مدرسة شوقي وحافظ والمنفلوطي، ولا على طريقة مدرسة العقاد وشكري والمازني...

<sup>4</sup>مجلة الرسالة، المجلد الثاني، العدد: 6/683 أغسطس 1946م، نقل عن: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص: 147-148، الخالدي

فكلتاهما مرحلتان من مراحل التطور، قامتا بدوريهما في النهضة وأن أن يخلقهما فهم للشعر جديد!<sup>5</sup> -

أما إعلانه الخروج على المدرسة العقدية، ففي قوله: "ولست أنكر فتنتي فترة طويلة من العمر بهذه المدرسة كفكرة وفتنتي بنتاجها الأدبي كشعر، وتأثري بها، إلى الحد الذي أنفقت فيه شطرا من عمري، وأنا أقول الشعر، لا أفرق فيه بين الفكرة الجميلة الشعرية، أعتنقها مذهبا، والإحساس الجميل الشعري ينبض به شعوري، ويعيش انفعالا غامضا في ضميري".<sup>6</sup>

بهذا يتبين أن شخصية سيد قطب شخصية مستقلة احتفظ باستقلاله الشخصي، وقد اعترف بذلك قائلا: "وكانت شخصية العقاد هي الشخصية الوحيدة التي أخشى الفناء فيها - كنت أحس هذا بيني وبين نفسي- ولقد ظلت هذه الخشية إلى وقت قريب، حينما بدأت أشعر أنني قد تخلصت، وأني أنتفع بالعقاد ولكني لا أقلده وأن لي طريقا ألمح معالمه، وأستشرف آفاقه، وأني أتذوق بحسي وأنظر بعيني وأسمع بأذني، وإن كان للعقاد فضل التوجيه في الطريق العام ---".<sup>7</sup>

العقاد يشيد بسيد فيما بعد

افترقت طريق العقاد وسيد، واتجه سيد إلى الفكر الإسلامي والعمل الإسلامي، وانتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين، وجرى له ما جرى من المحن، ووقف أمام الطواغيت والظلمة مواقف عظيمة، وبذل من التضحيات في سبيل الله ما بذل، وكان العقاد يتابع أخبار سيد بإعجاب وإكبار. يقول الدكتور الخالدي: "قد أخبرني الأستاذ محمد قطب أن العقاد في أواخر حياته كان يشيد ويثني عليه، ويبيدي إعجابه به و إكباره له، لمواقفه الجهادية من الطواغيت، وتحديه لهم وصبره على ما يواجهه بسبب ذلك، كان العقاد يظهر ذلك في مجالسه الخاصة، ويخبر به خاصة زواره".<sup>8</sup>

نظرة على المراحل المتطورة لصلة سيد قطب بعباس محمود العقاد:

<sup>5</sup> مجلة الكتاب، المجلد الخامس، الجزء الثاني فبراير 1948، ص: 248، نقلا عن: سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد ص: 151، الخالدي

<sup>6</sup> المرجع السابق

<sup>7</sup> مجلة الرسالة، المجلد الثاني، عدد: 11/597 ديسمبر 1944، صفحات 1087-1988 نقلا عن: سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد ، ص: 144-145 الخالدي

<sup>8</sup> سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد ، ص: 157، الخالدي

سارت صلة سيد بالعقاد في مراحل متطورة وهي كالتالي:

قد بدأت تلمذة من سيد على أستاذه العقاد، منذ بداية شبابه.

ثم تحولت إلى محبة عظيمة وإعجاب عظيم من التلميذ بأستاذه.

ثم كان التلميذ "مريدا" بكل ما تحمله كلمة مريد من معنى -لأستاذه- ثم وصلت بالتلميذ المريد إلى اعتناق كل آراء أستاذه وأفكاره. ثم أصبحت للمريد استقلالية في فهم المسائل الأدبية والفكرية.

ثم سمح المريد لنفسه أن يخالف أستاذه في بعض المسائل الأدبية والفكرية.

ثم بدأ المريد يبتعد عن أستاذه ومدرسته في الأدب والشعر والحياة.

ثم أعلن خروجه النهائي في مدرسة أستاذه السابق ومخالفته له. ثم جفوة الأستاذ لمريده السابق.

ثم سيركل منهما في طريقين مختلفين متوازيين في عالم الفكر والبحث.

ثم عودة سيد قطب إلى وزن أفكار وآراء أستاذه السابق بميزان القرآن وتقويمها على أساس القرآن، وتصويبها بنصوص القرآن، وبيان مخالفتها لمقررات القرآن.

لقد بدأ سيد حياته تلميذا ومريدا للعقاد، وختمها رجلا قرانيا متميزا!!

### المراجع والمصادر

- سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط: 2000/1421 دار القلم، دمشق
- رائد الفكر الاسلامي المعاصر الشهيد سيد قطب: حياته ومدرسته وآثاره، يوسف العظم، 1400هـ/1980 دار القلم، دمشق
- سيد قطب الأديب الناقد، د. عبد الله عوض الخباض، ط: 1983 مكتبة المنار، الزرقاء
- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط: 1980/1401 دار القلم، دمشق
- عبقرى الإسلام سيد قطب، الأديب العملاق والمجدد الملهم في ضوء آثاره وإنجازاته الأدبية، د. بشير أحمد الكشميري، دار الفضيلة، القاهرة، تاريخ الطبع غير مذكور
- شخصيات وكتب، الشيخ أبو الحسن الندوي، ط: 1990/1410 دار القلم، دمشق
- فولاد بی مومن (الأردية) د. محمد صلاح الدين العمري/ عبید الله فهد الفلاحی، ہندوستان پبلیکیشنز دہلی
- سيد قطب الشهيد الحي، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط: 1980/1401 مكتبة الأقصى، الأردن
- الإخوان المسلمون، كبرى الحركات الإسلامية، ط: 1955 دار بيروت للطباعة والنشر، القاهرة
-

## كتابة التاريخ المنتخبة للمصريين في القرن العشرين.

بشارت أحمد شاهين<sup>9</sup>

### Abstract.

This paper goes to discuss about the Egyptian historian and their work in 20<sup>th</sup> century. The Egyptian historian compiled the history from beginning to 20<sup>th</sup> century and other literary development during this period. And it is also discussing about the books on the History of Arabic literature in Egypt and their writers. There are many historians in Egypt due to the limit of this paper we can't enumerate all of them, we only mention the three historians and their achievements in the history of Arabic literature such as Taha Hussain and his book on pre-Islamic literature, and Ahmad Hassan Zayat, and his book on history of Arabic Literature from pre Islamic to the Modern period and the third one is Mustafa Sadiq Al-Rafaie.

يقول أحمد حسن الزيات معرّفًا بتاريخ الأدب " تاريخ الأدب هو علم يبحث عن أحوال اللغة وما أنتجته قرائح ابنائها من بليغ النظم و النثر في مختلف العصور، وعما عرض لها من أسباب الصعود و الهبوط و الدثور، ويعني بتاريخ النابهين من أهل الكتابة و اللسنّ و نقد مؤلفاتهم و بيان تأثير بعضهم في بعض بالفكرة و الصناعة والأسلوب .أما تعريفه بمعناه الأعم، فهو وصف مسلسل مع الزمن لما دون في الكتب و سجل في الصحف و نقش في الأحجار تعبيراً عن عاطفة أو فكرة أو تعليماً لعلم أو فن أو تخليد لحادثة أو واقعة، فيدخل فيه ذكر من نبغ من العلماء، والحكماء، والمؤلفين، والأدباء، والشعراء ومذاهيم ومكانتهم في الفن"، ولتاريخ الأدب أثر بليغ في حياة الأمة<sup>10</sup>.

مارس المؤرخون في تاريخ الأدب العربي ممارسة عظيمة وبذل قصارى جهودهم في هذا المجال، و نظروا فيه نظرة دقيقة، واحاطوا به إحاطة تامة بمناهج مختلفة، واستعملوا خلال كتابات هذا الفن لغة بليغة وعبارات بالغة وتعبيرات جديدة كي يكون هذا الفن أدباً مع فن التاريخ، و وسّعوا للقراء تاريخ الأدب العربي سبيلاً واسعاً، وتدرجوا في هذا المجال تدرجاً بالغاً، ونحن الآن نستفيد بهذا الفن الجليل به جهودات هؤلاء المؤرخين، والآن نذكر بعض من المؤرخين و كتاباتهم في تاريخ الأدب العربي من مصر وهذه هي كتاباتهم في فن التاريخ.

<sup>9</sup> باحث بكلية دراسات العرب، قسم اللغة العربية، بجامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدرآباد.

1. أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي، ص 7-8 .

## في الأدب الجاهلي :

هذا الكتاب للعالم الكبير والمؤرخ الجليل طه حسين<sup>11</sup>، حينما عين طه حسين أستاذاً لتاريخ الأدب العربي في كلية الأدب بجامعة القاهرة، كان يلقي على طلبة مجموعة من المحاضرات جمعها في كتابه " في الشعر الجاهلي " سنة 1926 م، وتصدى لأرائه عديد من الأدباء و نقدواه نقداً شديداً على هذا الكتاب من بينهم الشيخ الخضر حسين، ومحمد فريد وجدي، ومحمد لطفى جمعه، وجانبهم بعض من الأدباء الذين قاموا ليدافعوا طه حسين من بينهم أحمد لطفى السيد، والدكتور محمد حسين هيكل، ومنصور فهمي، وعباس محمود العقاد الذين دافعوا دفاعاً عظيماً عن حق طه حسين، ونشر طه حسين نفس الكتاب بعد انتقاد شديد من قبل الأدباء باسم (في الأدب الجاهلي)<sup>12</sup>.

أما كتاب (في الأدب الجاهلي)، بدأ طه حسين كتابه بكلام الأدب وتاريخه، ويذكر كيف كان الأدب في مصر مقدما سبيل الإصلاح و الثقافة، ودرس الأدب، ويذكر معه الصلة بين الأدب وتاريخه ويذكر الأدب الأنشائي والوصفي، ويذكر عن انتاج تاريخ الأدب العربية ومقاييسه، وفي الباب الثاني يتكلم عن الجاهليين ولغتهم وأديهم، وهو يعكس الحياة الجاهلية، وأديهم، وشعرهم، ولغتهم، ولهجاتهم . إنّ حياة العرب في الجاهلية كانت حياة حضارية و بداءة، والعرب كما يقول طه حسين " لم يكونوا على غير دين، ولم يكونوا جهالاً ولا غلاظاً، ولم يكونوا في عزلة سياسة أو اقتصادية بالقيان إلى الأمم الأخرى، كذلك يمثلهم القرآن<sup>13</sup> ". والباب الثالث يضم انتحال الشعر، فهويتحدث في هذا الصدد عن انتحال السياسة وانتحال الدين وانتحال القصص، وانتحال الشعوبية والرواة .

يتناول المؤلف الباب الرابع كلام عن الشعروالشعراء، أولاً يذكر عن شعراء اليمن أهمهم امرؤ القيس، وعبيد، وعلقمة، وعمر بن قتيبة، ومهلهل بن ربيعة، وعمر بن كلثوم، والحارث بن حلذه، وطرفة بن العبد، والأعشى . الباب الخامس يتحدث فيه المؤلف عن شعر مضر وانتحال فيه، ويذكر عن غرابة الألفاظ والمعنى البداءة في شعر مضر أهم من بينهم أوس بن حجر، وزهير بن أبي سلمى، وكعب بن

2. هو كاتب جليل ، عميد الأدب العربي ، و الأديب الكبير ، والمفكر الحر ، ولد في اكتوبر سنة 1889 م ، في قرية صعيد مصر ، كان أبوه موظفاً صغيراً في شركة زراعية من شركات السكر ، حفظ القرآن الكريم، وألم بمبادئ العلوم الدينية و العربية حينما انتقل الى فرنسا فحصل على الدكتوراه في علم الاجتماع ، وتوفي سنة 1973م ، من أهم كتبه (الأيام ) و (في الشعر الجاهلي) و (مستقبل الثقافة في مصر) و (حديث الأربعاء) و (على هامش السيرة ) على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم . أنظر للتفصيل ، الدكتور شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر في مصر حياة و آثار طه حسين من ص277 الى ص 287 .

3. الأستاذ لمعي المطيعي : موسوعة هذا الرجل من مصر ص224 .

4. طه حسين : في الأدب الجاهلي ص22-23 .

زهير، والناطقة زبياني . الباب السادس يذكر فيه عن تعريف شعر العربي يقول طه حسين " فالناس يختلفون في تعريف شعر ومعناه فمنهم من يرى أنّ الشعر هو الكلام المنظوم في الوزن والقافية، ومنهم من يرى أنّ الشعر هو الكلام الذي يعتمد فيه صاحبه حل الخيال، ويقصد فيه الى هذا الجمال الفني"<sup>14</sup> ويتحدث مع ذلك عن أنواع الشعر مثل الشعر القصصي، والشعر الغنائي، الشعر التمثيلي، والشعر الأجنبي فنونه مثل الوصف، والمدح، والثناء، والهجاء، والغزل، والفخر، والحماسة . وفي آخر هذا الكتاب يتناول حديثه عن النثر الجاهلي أولاً يتحدث عن ظهوره ، وصوره . ومؤرخوا الأدب العربي يتفق على هذا التعريف كما مرّ في كتاب طه حسين في الأدب الجاهلي " أنه النثر ما فيه مظهر من مظاهر الجمال، وفيه قصد إلى التأثير النفس من أي ناحية من أنحائها، وهذا الكلام الذي يعني به صاحبه عناية خاصة ويتكلفه تكلفاً خاصاً ، ويريد أن يأخذك بالنظر فيه والتعويل عليه ، كما يعني الشاعر لشعره و يحاول أن يؤثر به نفسك "<sup>15</sup> وهو حديث وجيز.

صدر هذا الكتاب باسم (في الشعر الجاهلي) سنة 1926 م، وأراد طه حسين تطبيق منهج الفيلسوف الفرنسي رينية ديكارت القائم على الشك على الشعر الجاهلي، مفيضاً " أنّ هذا المنهج الذي سخط عليه أنصار القديم في الدين والفلسفة، يوم ظهر قد كان أخصب المناهج وأقومها وأحسنها أثراً، و أنه جدد العلم، والفلسفة تجديداً "<sup>16</sup> . ولهذا الكتاب أثر بليغ بين كتب تاريخ الأدب العربي، والمنهج الذي أخذ طه حسين هو المنهج الفلسفي، وهو سلك مسلك ديكارت في المنهج، عني طه حسين بذكر أشعار العرب الخاصة للنموذج مع ذكر شعرائه، وهو الكتاب الذي يتمحور حول الحديث عن شعر العربي ورجاله وأما الذي ينقص من قيمة الكتاب أن المؤلف لم يراع نسخ تواريخ الميلاد والوفاة للشعراء عند ذكرهم أول الأمر.

### تاريخ الأدب العربي :

هذا الكتاب لأحمد حسن الزيات<sup>17</sup> ، بدأ أحمد حسن الزيات حديث كتابه بمقدمة يبحث فيها عن أدب اللغة وتاريخ الأدب، وفائدته و تقسيمه، وبعده يذكر عن قبائل العرب والبنائ، والعاربة،

5. طه حسين : في الأدب الجاهلي، ص 327 .

6. المرجع السابق، ص 347 .

7. الدكتور السيد ولد أباه : أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة ، ص 65-66 .

8. هو أحمد حسن الزيات ولد في أبريل سنة 1885م الموافق 1302 الهجري بمكان كفر دميهر مركز طلخا بمحافظة الدقهلية، التحق بجامعة الأزهر، و من زملائه طه حسين ، محمود الزناتي ، عمل أحمد حسن الزيات كالمدرس للغة العربية بمدرسة العزيز بالخرنفس نحو سبع سنوات ، ثم انتقل إلى مدرسة أهلية غير حكومية في سنة 1914 م ، وهذه المدرسة أنشأها الشيخ عبد

والمستعربة، ومواطنهم وطبقاتهم وقبائلهم المشهورة، ويذكر أحوال العرب الاجتماعية والسياسية والدينية والعقلية في العصر الجاهلي .

يشتمل هذا الكتاب على خمسة أبواب، والباب الأول أربعة فصول الفصل الأول يتحدث فيه عن نشأة اللغة العربية و اللغات السامية ولهجاتها وأطوار تهذيب اللغة العربية، ويذكر في هذا الصدد الأسواق المهمة مثل عكاظ ومجنة وذو المجاز، وأثر هذه الأسواق على لغتهم، وكيف كانوا تهذبوا في لغتهم، والفصل الثاني يحتوي النثر في العصر الجاهلي وأنواعه مثل الحكمة والوصية والخطابة وأسلوبها، ويذكرهم الخطباء مع ذكر حياتهم مثل قس بن سعد الأيادي، وعمر بن معدي كرب الزبيدي، وأسلوبهم ونماذج من كلامهم. والفصل الثالث يختص بحديث الشعر وتعريفه وأنواعه مثل شعر غنائي أو وجداني، وشعر قصصي، وشعر تمثيلي وأغراضه، وبعض نماذج شعر الجاهلي والمعلقات. والفصل الثالث يحتوي الشعراء الجاهليين وطبقاتهم ونشأتهم وحياتهم ونماذج كلامهم، من أهم الشعراء امرؤ القيس، والناطقة الزباني، وزهير بن أبي سلمى، والأعشى، وعنترة العبسي وطرفة بن العبد، وعمرو بن كلثوم، وحارث بن حلزة، ولبيد ربيعة، وحاتم الطائي، وأميرة بن أبي الصلت.

الباب الثاني يحوى عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، يذكر فيه المؤلف الأدب الإسلامي والجزيرة العربية قبل الإسلام وأثر الإسلام على العقلية العربية، وأثر الفتوح على حياة العرب، وأثر الخصومة السياسية في الأدب، ومع ذلك يذكر عن مصادر الأدب الإسلامي وهي القرآن الكريم، والحديث النبوي صلى الله عليه وسلم، يتحدث في هذا الصدد أسلوب القرآن الكريم وإعجازه وأغراضه وتأثيره على الشعوب العربية والأجنبية، في فصل الثالث لهذا الباب يتحدث عن الشعر الجاهلي والأدب الأجنبي، ويذكر مع ذلك معركة الهجاء بين قريش والمسلمين، وأثر الدين والحضارة فيه، ثم يذكر عن شعراء الشيعة والخوارج و نماذج من الشعر الأموي ، وبعد ذلك يتحدث عن الشعراء المخضرمين وحياتهم وأشعارهم المهمة يعدأهم الشعراء من بينهم كعب بن زهير، والخنساء<sup>18</sup>، وحسان بن ثابت، والحطئية، ويذكر معهم الشعراء

---

العزیز جاویش لمواجہة محاولات الاحتلال الإنجليزي في التعليم ، مكث في هذه المدرسة إلى سنة 1922 م ، و نشر مع التدريس المجلة الشهيرة ، " الرسالة " أصدر هذه المجلة في 15 يناير سنة 1933 م ، و هي مجلة أدبية أسبوعية كتب فيها كبار من الأدباء مثل طه جسيں ، ومحمد حسين هيكل ، وعباس محمود العقاد، ومحمود تيمور، وعبد الرحمن الشكري، وأحمد زكي أبو شادي وغير ذلك ، توفي أحمد حسن الزيات سنة 1968 م الموافق 1388 الهجري .

9. هي شاعرة وحيدة من شواعر العرب قبل الإسلام و بعده ، وهي شاعرة المخرميتين، لايفوق الحنساء في شعرها أحد، و هي

ناطقة بين الشاعرات العرب ، اشتهرت في مراتبها ، و كانت تبكي بكاء شديدا في خزن أخويها الذين ماتا غير الدين الإسلامي .

( أنظر للتفصيل حياتها ، أ حمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي، ص109 .

الإسلاميين مثل عمر بن أبي ربيعة، والأخطل، والفرزدق، وجريز، والطرماح بن حكيم، مع بيان الشعر والشعراء يتحدث عن النثر الأموي أولاً يتحدث عن الخطباء والخطابة يذكر في هذا الصدد خطابة نبينا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، سحبان بن وائل وزباد بن أبيه، والحجاج بن يوسف وترجمتهم، وبعد ذلك يذكر عن الكتابة وأهم الكتاب مثل عبد الحميد الكاتب وغير ذلك، ويذكر مع ذلك نماذج من النثر مثل الحكم والأمثال والخطب والرسائل وغير ذلك .

الباب الثالث يضم حديث عن العصر العباسي، يذكر خطورته وأثره ومميزاته واختلافه عن العصر الأموي وأثر الحضارة الآرية فيه وانتقال الخلافة إلى بني العباس على يد الفرس، في الفصل الأول يتحدث المؤلف فيه عن اللغة وأثر الفتوح والسياسية والحضارة فيها وما اقتبسته العربية من الفارسية، وضعفها عند استيلاء الأعاجم على بغداد، ومع ذلك يذكر عن النثر والكتابة وأثر الحضارة الفارسية فيها واتساعها وأسلوبها، ويذكر في هذا الصدد عن طبقات الكتاب مثل ابن المقفع، والجاحظ، وابن العميد، والصاحب بن عباد، والخوارزمي، وبديع الزمان الهمداني، والحريري، والقاضي الفاضل، يذكر المؤلف بعد النثر عن الشعر وأنواعه مثل الحماسة، والمدح، والثناء، والهجاء، والوصف، والإعتذار، والاستعطاف وغير ذلك. ومن أهم الشعراء بشار بن برد، وأبو العتاهية، وأبو نواس، وابن الرومي، وابن المعتز، والشريف الرضي، والطغرائي، ويعد من شعراء الشام أبو تمام، والبحتري، والمتنبي، وأبو فراس، وأبو العلاء المعري، ويتحدث بعد ذلك عن شعر وشعراء الأندلس وأثر حضارة الأندلس في الشعر وأثر الشعر العربي في الشعر الأفرنجي، من أهم الشعراء في الأندلس عند الزيات: ابن هاني الأندلسي، وابن زيدون، وابن حمديس الصقلي، وابن خفاجة، ولسان الدين بن الخطيب يتحدث بعده عن الشعر والكتابة والعلوم والفنون في مصر في عهد الفاطميين، ومن أهم الشعراء في هذا العصر كمال الدين بن النبيه، وابن الفارض، وبهاء الدين زهير. من أهم الكتاب الأصمعي، وأبو الفرج الأصبهاني. ومن نحاة سيبويه، والكسائي، والفراء، وبعد ذلك يتحدث عن العلوم الشرعية وعن الفقه والفقهاء مثل أبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، ومحمد الشافعي، وأحمد بن حنبل وبعدهم يتحدث الفلاسفة والقصص والمقامات وغير ذلك .

الباب الرابع يختص بالعصر التركي، يذكر عن سقوط بغداد ويتحدث كيف حلفت القاهرة بغداد وقرطبة واشتداد التنافس بين الفرس والترك وتحارب الشيعة والسنة، في نفس الباب يتحدث عن أعلام الشعراء والأدباء في هذه الفترة، من أهم الشعراء التلعفري، والبوصيري صاحب البردة في مدح نبي صلى الله عليه وسلم، وابن نباتة المصري، والقلقشندي، وصفي الدين الحلي، وابن معتوق. ومن أهم العلماء

هذه الفترة النويري صاحب (نهاية الأرب في فنون الأدب)، وابن فضل الله العمري، وجلال الدين السيوطي، وكمال الدين الدميري صاحب حياة الحيوان، في آخر هذا الباب يتحدث عن حياة ومؤلفات هؤلاء الأدباء مثل ابن منظور، وأبو الفداء، وابن خلدون، وعائشة الباعونة.

الباب الخامس هو الباب الأخير لهذا الكتاب يختص بالعصر الحديث، يتحدث أولاً عن الأوضاع الاجتماعية في أواخر القرن الثامن عشر، وغزو نابليون مصر سنة 1798 م وأثره الأدبي، وأعمال محمد علي، وجهود إسماعيل في نشر الثقافة، وأثر الاحتلال الإنجليزي في التعليم فانهيار الشرق من التقدم الحضاري والعلمي للغرب، وأما محمد علي رأس الأسرة الخديوية لم يدهش: بل علم أن ما في الغرب من حضارة وعمارة إنما أساسه العلم<sup>19</sup>. في الفصل الأول يتحدث المؤلف عن وسائل النهضة الحديثة، وعن المدارس وجامع الأزهر والجامعة المصرية، ويذكر عن الطباعة والصحافة والتمثيل والجامع الأدبية مثل المجمع العلمي العربي بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، يبحث بعد ذلك الفن القصصي والروائي وأساطين النهضة الحديثة في مصر والشام والعراق والمغرب من بينهم عبد الرحمان الجبرتي صنف كتابه (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) والشيخ محمد المهدي، والشيخ حسن العطار، والسيد علي الدرويش، ورفاعة بك الطهطاوي وغيرهم. يتناول بعد ذلك الكتاب وحياتهم وأعمالهم ونماذج كلامهم مثل جمال الدين الأفغاني، والأستاذ الإمام محمد عبده، والشيخ علي يوسف، وإبراهيم المويلحي، وحفني ناصف، وباحثة البادية، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وعبد العزيز جاويز. ومن الأدباء ناصف اليازجي، وأحمد فارس الشدياق، وبطرس البستاني، وإبراهيم اليازجي، وحمزه فتح الله، من أهم الخطباء عبد الله نديم، ومصطفى كامل، وسعد زغلول. الفصل الأخير لهذا الباب يختص بالشعراء في ذلك العصر وحياتهم ونماذج كلامهم مثل محمود سامي البارودي، وإسماعيل صبري، وأحمد شوقي، ومحمد حافظ إبراهيم، وجميل صدقي الزهاوي، يذكر المؤلف عن الاستشراق والمستشرقين، ويبين معنى الاستشراق<sup>20</sup> "دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأهمه ولغاته، وأدبه، وعلومه، وعاداته، معتقداته وأساطيره. من أهم المستشرقين فينتيه veter، وهربلو Herblot، وسديو Scdillot، ومارسل. وفي ختام هذا الكتاب قائمة تفسير الألفاظ الغربية والتراكيب الغامضة.

لهذا الكتاب شهرة فائقة بين كتب تاريخ الأدب العربي، وهو المرجع الوحيد لطلاب الأدب العربي وللناشئين، وهذا الكتاب مملوء بتراجم الأدباء والشعراء بالاختصار مع ذلك عني بذكر نماذج كلامهم

10. أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، ص308.

11. نفس المرجع ص378.

سواها في النثر والشعر عناية دقيقة، وشيء مهم في هذا الجزء من تاريخ الأدب العربي، اهتم المؤرخ بذكر تاريخ وفاة ومما الشاعر والأديب سواه الميلاد أو الهجري اهتماماً بالغاً، وقد أحاط أحمد حسن الزيات بالتاريخ المهم منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، كان أحمد حسن الزيات مؤرخ جليل له عمل مبكر في تاريخ الأدب العربي، استخدم المؤرخ اللغة البليغة والفصيحة، والعبارات الفائقة، والتعبيرات الجديدة التي تفيد الباحثين والناشئين وطالبي الأدب واللغة، استفاد من هذا المؤرخ كبار من العلماء والأدباء الذين أرسلوا مقالاتهم في مجلته الأسبوعية الشهيرة " الرسالة " وأصبحوا أدباء كاملين . من يريد أن يطالع تاريخ الأدب العربي من البداية حتى النهاية يعني العصر الراهن أو الحديث في أقل وقت والاختصار هذا هو الكتاب يفيد إفادة تامة، وهذا الكتاب صورة كاملة وواضحة لتاريخ الأدب العربي في مصر وعالم العربي .

تاريخ آداب العرب :

هذا الكتاب لمصطفى صادق الرافعي<sup>21</sup> ، يحتوي هذا الكتاب ثلاثة مجلدات، الجزء الأول لهذا الكتاب يشتمل باين، بدأ الرافعي كتابة هذا الكتاب سنة 1909 م ، وأتم الطبعة الأولى سنة 1911 م<sup>22</sup> . بدأ المؤرخ حديث كتابه بكلام الأدب وتعريفه المتعدد بين كبار من العلماء والأدباء كما يقول ابن خلدون " الأدب هو حفظ أشعار العرب و أخبارها و أخذ كل علم بطرف "<sup>23</sup> ثم يذكر المؤرخ عن المؤيدين يعني أصحاب العلوم و البيان مثل أبو معبد الجهمي وعام الشعي كان يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان، ثم يذكر عن علوم الأدب و كتبها مثل النحو واللغة والبيان والمعنى والبديع والتصريف والعروض والقوافي وصناعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم، ومن كتبها (ديوان العرب)، و (مقدمة الأدب)، و (روض الأدب)، و (عنوان الأدب)، و (ديوان الأدب)، و (ميدان الأدب)، و (مفتاح الأدب)، و (سر الأدب) .

أما الكتب التي هي من شرط الأدب و أصولها و هي أربعة كما يقول ابن خلدون "أربعة دواوين وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، و كتاب الكامل للمبرد، و كتاب البيان والتبيين للجاحظ، و كتاب النوادر لأبي

12. هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ، ولد في مهتيم بمصر سنة 1885 م، أبوه طرابلسي و أمه حلبية ، عين مصطفى صادق الرافعي كاتباً في محكمة طلحا الشرعية سنة 1899 م ، ثم نقل إلى محكمة إيتاي البارود الشرعية ثم إلى طنطا الشرعية ، و توفي سنة 1937 م ، ( أنظر للتفصيل د. شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر في مصر ص 242 ) .

13. مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب، الجزء الأول، ص 7 .

14. المرجع السابق، ص 23 .

علي القالي البغدادي<sup>24</sup>. ثم يذكر عن بلاد العرب وأصلها وطبقات العرب يذكر في هذا الإطار العرب البائدة القحطانية الإسماعيلية، يتناول بعد ذلك اللغات الأعم واللغة العربية وما بينها من الاختلاف ويذكر عن اللغات السامية واللسان العربي في الشمال، ويذكر تهذيب اللغة بسبب انتشار القبائل العربية واشتراكهم في الأسواق العربية مثل عكاظ وغير ذلك، وبعدها يتحدث عن الحروف العربية ومخارجها، واختلاف لغات العرب وقبائلها بسبب اختلاط الأعجم، ثم يذكر عن عيوب المنطق ويبحث بعض أنواع البلاغة مثل المجاز، والقلب، والإبدال، والمترادف والاشتقاق، ثم يذكر عن نظام الألفاظ بالمعنى والمعنى بالألفاظ، ونظام العربية واللغة العامية واللعن وأولية وانتشار اللحن وفساد اللغة في البادية، وطبائع العرب، هذا هو البحث الطويل عن اللغات ولهجاتها ومنطقها واختلاف عن هذه اللهجات.

الباب الثاني لهذا الجزء يختص بالرواية والرواة، كان العرب في بداية عصرهم رووا رواية شفوية، لأن ليست الكتابة رائجة بين العرب، كانوا يحفظون أيام العرب وأنسابهم وينقلون إلى الجيل القادم والقبيلة الأخرى، ونفس الطريق سلك العرب في نقل الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم حينما أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بتدوين الحديث حفظ العرب الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم في كتابتهم، وكانوا ينقلون هذه المادة المباركة إلى الأجيال القادمة، ويذكر المؤرخ عن الإسناد وفائده في الحديث والأدب وعن إسناد الكتب واتصال الرواية بالأدب، ثم يتحدث عن اللغة واللغوي ثم يتحدث عن الرجال الذين سافروا إلى البادية وإلى العرب الفصحى لأخذ منهم الحديث والمعلومات الهامة، ويذكر بعده عن أهم الرواة مثل أبو العباس المبرد، والسيرفي، وأبوبكر الزبيدي الأندلسي وغيرهم، ويذكر في النهاية التاريخ يضم عن مذاهب الطائفتين يعني طائفة البصرة وكائفة الكوفة.

الجزء الثاني لهذا التاريخ يضم حديثاً كاملاً عن القرآن وإعجازه. يقول الدكتور يعقوب صروف عن هذا الجزء من تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي " يجب على كل مسلم عنده نسخة من القرآن، أن يكون عنده نسخة من هذا الكتاب<sup>25</sup> " يشتمل هذا الجزء على القرآن الكريم، والبلاغة النبوية صلى الله عليه وسلم وتاريخ القرآن الكريم يعني متى نزل القرآن الكريم على نبينا صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر عن تدوينه وجمعه وعن القراءة، ولغة القرآن الكريم وتأثر القرآن الكريم في اللغة، ثم يتحدث عن آداب القرآن الكريم وعلومه ويذكر تفسير آية، ثم يذكر عن إعجاز القرآن الكريم وأسلوبه والحروف

15. مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب، الجزء الأول، ص 41 .

16. مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، الجزء الثاني ، ص 11 .

وأصواتها والكلمات وحروفها والجمل وكلماتها، ثم يتحدث عن البلاغة في القرآن الكريم، وبعد ذلك يذكر عن البلاغة النبوية محمد صلى الله عليه وسلم وفصاحته وصفته وإحكام منطقته ونفي الشعر عنه وتأثيره في اللغة. من يريد أن يعرف معلومات عن القرآن الكريم وتاريخه وتدوينه وأسلوبه وغير ذلك من البلاغة النبوية محمد صلى الله عليه وسلم وأثره على اللغة عليه أن يقرأ هذا الجزء من تاريخ آداب العرب.

الجزء الأخير لهذا الكتاب يحتوي حديث عن تاريخ الشعر العربي ومذاهبه والفنون المستحدثة، ثم يبحث عن أولية الشعر العربي ونشأته بحثاً موجزاً، وبعد ذلك يذكر عن عدي بن ربيعة التغلبي الملقب بالمهلهل، قال امرؤ القيس إنه أول من قصد القصائد وطوله، وقال الأصمعي: "إنه أول من يروي له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً من الشعر"<sup>26</sup> ثم يذكر عن ألقاب الشعراء وعن شياطين الشعراء في هذه الطائفة ما يعتقد العرب من قول الجن على السنة الشعراء ومن هذا القبيل عقائد وعادات كثيرة حوى هذا الجزء بحثاً طويلاً . وعين طبقات الشعراء فقسّمهم إلى أربعة طبقات الجاهلي، والمخضرم، والإسلامي، والحديث، والشاعرات اللاتي اشتهرن في طبقة الشعراء العشاق جميلة، والحنساء، وعزة الميلاء، وسلامة الزرقاء، بعد ذلك يذكر عن فنون الشعر العربي وأصحابه، من الفنون مثل الحماسة، والمرثي، والتشبيب، والهجاء، والعفاف، والعتاب، والإعتذار، والخمريات، والإهديات، والبشارة، والوعيد، والتحذير، والتحريض، ثم يذكر عن الشعر الوصفي والحكمي والعلمي، بالإضافة إلى ذلك يصف الفنون المستحدثة مثل الموشح وأسباب اختراعه والزجل وفنونه، ثم يتحدث عن قصائد المعلقات وأصحابها كما يذكر عن امرؤ القيس وقصيدته ومنازحته، ثم يذكر عن عنترة بن العبد وشعره، وزهير بن أبي سلمى، ثم يذهب المؤرخ إلى الأدب الأندلسي وتأثره بالتاريخ السياسي، والعلوم والأدب فيه، ثم يذكر عن الحضارة الأندلسية، وأدباء ملوك الأندلس، وبعده يذكر عن ملوك الطوائف وعصر الوزراء ودولة الموحدين وأدبهم، يبحث بعده الشعر الأندلسي والشعراء الفلاسفة مثل أبو الفضل بن شرف، وابن باجة، ويوسف بن تاشفين، وأبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأشبيلي .

ثم يتحدث عن علوم الأندلس مثل علم النجوم والأفلاك، والمقادير، والهندسة، والرياضيات، واللغة، والأدب وغير ذلك . من أهم علماء العرب الخشني القرطبي هونحوي لغوي، و محمد بن عبد الله القرطبي، و محمد بن عبد السلام بن ثعلبة، وجابر بن غيث اللبلي، وهشام بن يحيى المعروف بالرياحي . حوى هذا الكتاب أيضاً البحث عن الفلسفة والفلاسفة وترجمتها إلى أوروبا، وبعد ذلك يتحدث عن التأليف وتاريخه عند العرب، ونوادير الكتب العربية كما يذكر عن كتب الشعروهي الكتب تشمل حديث عن الشعر العربي مثل نقد الشعراء لقدامة بن جعفر، وكتاب العمدة لابن رشيق القيرواني، وهو أيضاً يتحدث عن

الطبقات والتراجم، وهذه هي الكتب مملوئة بالحديث عن الشعراء وأزمانهم ومذاهبهم، وأحوالهم الاجتماعية، وأشعارهم، وأيضاً يتحدث عن كتب المختارات، وفي نهاية هذا الكتاب يتحدث عن الصناعات اللفظية التي أولع بها المتأخرون في النظم والنثر لا يسعنا الوقت لتفاصيلها .

بذل مصطفى صادق الرافعي قصارى جهوده في كتابة هذه السلسلة من تاريخ آداب العرب، سلك الرافعي مسلك ما لم يسلك أي من المؤرخين، وله منهج متفرق وأسلوب منفرد، عني بالموضوع التي كتبه عناية دقيقة، وفسر لهذا الموضوع تفسيراً بالغاً . لكن شيء مفقود في هذه السلسلة وهو أن صادق الرافعي ما أحاط بتاريخ الأدب العربي إحاطة تامة ، كما عني أحمد حسن الزيات بالشكل الإختصار وشوقي ضيف بالشكل الوضاحة، اكتفى بذكر أحوال اللغة و اختلافها، و رواية الحديث وتدوين القرآن وما يتعلق بها التفاصيل، وهو أيضاً يتحدث عن البلاغة لم يرح المؤرخون الآخرون مثل أحمد حسن الزيات، وطه حسين لهذا النوع حلال كتابة تاريخ الأدب العربي، عني بها شوقي ضيف في كتابه الخاص وهو " البلاغة و تطور تاريخ " . يتحدث الرافعي في آخر هذه السلسلة عن الشعر العربي ومذاهبه وفنونه ، ما يتناول الرافعي النثر وفنونه إلا القرآن الكريم والحديث النبوي صلى الله عليه وسلم، ولم يهتم بالحديث عن القصص والروايات والمسرحيات وغير ذلك من أنواع النثر. وهذا الكتاب ذو فائدة جمة للدراسة عن القرآن الكريم وتاريخه، و رواية الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم، والشعر العربي وأنواعه القديمة والمستحدثة .

### المراجع و المصادر

1. طه حسين : في الأدب الجاهلي، الطبعة الثانية، طبع بالقاهرة، مطبعة فاروق "محمد عبد الرحمن محمد"، سنة 1352هـ. 1932م.
2. أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي، للمدارس الثانوية و العليا، مكتبة الرشيدية أردو بازار الدهلي الجديد، سنة 2002م.
3. الأستاذ لمعي المطيعي : موسوعة هذا الرجل من مصر، مكتبة دار الارشاد دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1413هـ. 1992م.
4. الدكتور السيد ولد أباه : أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الطبعة الأولى، مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر، بيروت سنة 1996م.
5. مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب، الجزء الأول، والثاني، والثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1421هـ. 2000م.
6. د. شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر في مصر، الطبعة الثالثة عشرة، مكتبة الدراسات الأدبية القاهرة، دار المعارف سنة 1957م.

### كتاب الأخبار للجاحظ

<sup>27</sup> - امتياز علي العرشي

<sup>28</sup> ترجمة من الأردوية: د. أورك زيب الأعظمي

كان الجاحظ أديباً عراقياً شهيراً ومتكلماً متصلًا للمعتزلة ومؤسساً<sup>29</sup> لفرقة خاصة تسمى بـ"الجاحظية". ولم يكن عالماً مكثراً للكتابة فحسب بل كان أديباً حلو الحديث وبلغ الكلام فقال عنه المسعودي:

"لا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه وقد كان أبو الحسن المدائني كثير الكتب، إلا أن أبا الحسن المدائني كان يؤدي ما سمع. وكتب الجاحظ تجلو صداً الأذهان، وتكشف واضح البرهان، لأنه نظمها أحسن نظم،

<sup>27</sup> محقق هندي شهير

<sup>28</sup> مدير تحرير "مجلة الهند" (بالعربية) و"The Indian Journal of Arabic and Islamic Studies" (بالإنجليزية)

<sup>29</sup> كتب أبو حيان التوحيدي (ت404هـ/1013م) أولاً كتاباً مستقلاً عن الجاحظ بعنوان "تقريظ الجاحظ" والآن لا يوجد ذلك الكتاب ولكن ذكر ياقوت الحموي مقتبساً في كتابه "معجم الأدباء". وفي العصر الحاضر كتب السيد خ- مردم بعنوان "الجاحظ" (حلب 1349هـ/1930م) وبنفس العنوان كتب السيد ت- كياني (دمشق)، وكتب شفيق الجبري بعنوان "الجاحظ معلم العقل والأدب" (القاهرة 1351هـ/1932م)، وكتب حسن السندوي بعنوان "أدب الجاحظ" (القاهرة 1350هـ/1931م) وكتب فؤاد أفرام البستاني بعنوان "الجاحظ" وبنفس العنوان كتب حنا الفاخوري (القاهرة، 1953م) عن الجاحظ.

وقد كتب كتاب السيرة المؤخرون عن أحواله وعقائد ومصنفاته أو عن واحد منها وهي كما يلي:

ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص 71 (طبع في مصر عام 1326هـ)، والمسعودي، مروج الذهب، 345-344/2 (مصر، 1283هـ) والتنبية والإشراف، ص 55 و76 (ليدن، 1894م)، وأبو منصور البغدادي، الفرق بين الفرق (مصر، 1328هـ) ومختصر الفرق بين الفرق للرسعي، ص 117 (مصر، 1924م)، الشريف المرتضى، الأمالي، 142-138/1 (مصر، 1325هـ)، ابن حزم الظاهري، الفضل، ص 1954 (مصر، 1321هـ)، الخطيب، تاريخ بغداد، 222-212/12 (مصر، 1349هـ)، الشهرستاني، الملل والنحل، 52/1 (لندن، 1848هـ)، السمعاني، كتاب الأنساب، ص 118 (ليدن، 1912م) و3/162 (حيدر آباد، 1963م)، ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص 254 (مصر، 1294هـ)، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 80-56/6 (مصر، 1913م) و16/74-114 (مصر، 1357هـ)، ابن الأثير، الكامل، 77/7 (مصر، 1290هـ)، ابن العربي، محاضرة الأبرار (مصر، 1282هـ)، القفطي، مختصر طبقات الأطباء، ص 274 و438 (لأستيسك، 1320هـ)، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 316/1 و32/2 (مصر، 1299هـ)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 553/1 (مصر، 1275هـ)، أبو الفداء، المختصر، 230/2 (كوبنهاغن، 1794م)، الذهبي، دول الإسلام، 109/1 (حيدرآباد، 1364هـ)، اليافعي، مرآة الجنان، 162/1 (حيدرآباد، 1338هـ)، ابن الكثير، البداية والنهاية، 19/11 (مصر، 1351هـ)، الأميري، حيوة الحيوان، 312/1 (مصر، 1330هـ)، المقرئ، الخطط والآثار، 348/2 (مصر، 1270هـ)، العسقلاني، لسان الميزان، 355/4 (حيدرآباد، 1331هـ)، السيوطي، بغية الوعاة، ص 265 (مصر، 1326هـ)، ابن العماد، الشذرات، 121/2 (مصر، 1350هـ)، الخوانساري، روضات الجنات، ص 503 (إيران، 1307هـ).

وما كتب عنه جزئياً من معاصرينا فهي كما يلي:

أمراء البيان، ص 411-487، آداب اللغة، ص 167، الفهرس التمهيدي، ص 550، مجلة لغة العرب، 26/9، البعثة المصرية، ص 40، الأعلام للزركلي، 239/5، معجم المؤلفين، 7/8 (دمشق، 1378هـ).

يرجى النظر إلى المراجع الغربية:

تتمة فهرس المخطوطات العربية: 466 لريو، تاريخ الآداب العربية لبروكلمان، موسوعة الإسلام: 1785/2 (طبعة جديدة).

ووصفها أحسن وصف وكساها من كلامه أجزل لفظ. وكان إذا تخوف ملل القارئ وسأمة السامع، خوَج من جد إلى هزل ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة".<sup>30</sup>

اسمه ونسبه: هو أبو عثمان<sup>31</sup> عمرو بن بحر بن محبوب الكناني<sup>32</sup> الملقب بالجاحظ والحدقي.<sup>33</sup> ولد بالبصرة عام 160هـ/776م<sup>34</sup> حيث تعلّم وتربّى ومن خلال النقاش والدراسة بها توسّعت ثقافته العلمية. أما أساتذته في الأدب فهم أبو عبيد (ت209هـ/824م) وأبو زيد الأنصاري (ت215هـ/830م) وأبو الحسن الأخفش (ت215هـ/836م) والأصمعي (ت216هـ/831م)، وأما الحديث فقد تعلّمه على القاضي أبو يوسف (ت182هـ/798م) ويزيد بن هارون (ت206هـ/821م)، وأخذ علم الكلام من المعتزلي الشهير أبي إسحاق النظام (ت231هـ/845م) والذي كان مقيمًا لفرقة "النظامية"، كما حصل على علم اللغة الفصحى من الأعراب في مريد البصرة. واشتهر من بين تلاميذ الجاحظ نفسه المبرد النحوي (ت285هـ/899م) ويموت بن المززع (ت304هـ/916م) وأبو بكر ابن أبي داود السجستاني (ت316هـ/929م).

وبعدما أنهى دراساته جعل يتجر بالخبز والسمك فقد رآه الناس بائعًا الخبز والسمك في سيحان.<sup>35</sup> ولكنه ذاع صيته في الآفاق لأجل الكتابة فأعانه الحكام والولاة لاسيما الفتح بن خاقان وزير المتوكل على الله العباسي (ت247هـ/861م).

وكان إبراهيم الصولي (ت243هـ/857م) مسؤولًا كبيرًا في ديوان الرسائل في عهد هارون الرشيد والمأمون. وقام الجاحظ مقامه في معظم الأحيان.<sup>36</sup> وذات مرة عينه المأمون مسؤولًا كبيرًا لهذا الديوان. ولكن سرعان ما استقال الجاحظ عن تلك المسؤولية وقد كان سهل بن هارون (ت215هـ/830م) يقول: لو واطب الجاحظ على هذا المنصب لأفلت نجوم كافة الكتاب.<sup>37</sup>

<sup>30</sup> المروج، 245/2

<sup>31</sup> كنيته أبو عمران في الكامل لابن أثير وتاريخ أبي الفداء. إن لم تكن هي خطأ مطبعيًا فينسب إلى ابن آخر.

<sup>32</sup> يصّر بعض كتاب السيرة على أنه كناني النسل، ولكن المؤرخين القدماء كالخطيب وغيره أوضحوا أنّ جدّه كان رقيقًا لأبي القلمس عمرو بن قلع من بني كنانة. واعتبره السيد بيلات (Pellat) حبشي النسل لأجل سواد لون الجاحظ وجده.

<sup>33</sup> يرجى النظر إلى ابن أبي الحديد، 451/2. ولقّب بالجاحظ والحدقي لجحوظ عينيه وبروز حدقتيهما.

<sup>34</sup> نقل الحموي عن الجاحظ وهو يقول: إني أكبر من أبي نواس سنة وولدت في أول شهر المحرم عام 150هـ (767م) وولد هو في الأخير من نفس السنة. ولكن ذكر فيه العام 160هـ كما اعتقد. أولًا لأن الخطيب ذكر سنة مولد أبي نواس 146هـ ولم يذكر أي مؤرخ سنة بعد تلك السنة. وكتب جميع كتاب السيرة الآخرين أن عمر الجاحظ أكثر من 90 سنة وذكروا سنة الوفاة 250هـ و256هـ على الأقل و255هـ على الأكثر. فإذا اعتبر عمر الجاحظ 95 سنة وسنة وفاته 255هـ فيجب إقرار ولادته في عام 160هـ

<sup>35</sup> معجم الحموي، 74/16

<sup>36</sup> المصدر نفسه، 84/16

<sup>37</sup> المصدر نفسه، 78/16

وعلى كل حال فقد بدأ الجاحظ يقضي رغد العيش بفضل المنحة الشهرية الصادرة من الخلافة، وجوائز الحُكَّام والولاة. فذات مرة سأله تلميذه ميمون بن هارون الكاتب الأخباري (ت297هـ/910م): هل لك أيّ عقارات في البصرة؟ فردّ عليه الجاحظ قائلاً:<sup>38</sup>

"إنما أنا، وجارية لي، جارية تخدمها، وخادم، وحمار. أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك، فأعطاني خمسة آلاف دينار. وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى أحمد بن أبي داود، فأعطاني خمسة آلاف دينار. وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي، فأعطاني خمسة آلاف دينار. فانصرفت إلى البصرة، ومعني ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد."<sup>39</sup> وكذا أجاب على سائل آخر:

"سألتني عن الجملة. فاسمعها مني واحدًا واحدًا. حالي أن الوزير يتكلم برأيي وينفذ أمري. ويواتر الخليفة الصلات إليّ. وأكل من لحم الطير أسمها. وألبس من الثياب ألينها. وأجلس على ألين الطبري. وأتكيء على هذا الريش. ثم أسير على هذا حتى يأتي الله بالفرج."

فسأله الرجل عن الفرّج فردّ عليه الجاحظ:

"بل أحبّ أن تكون الخلافة لي، ويعمل محمد بن الملك بأمرني، ويختلف إليّ فهذا هو الفرّج." وأصيب الجاحظ بالفالج والنقرس في نهاية أيام حياته فأوذى كثيرًا ولحق به الضرر الشديد فذات مرة سأله المبرد عن حالته فقال:

"كيف يكون من نصفه مفلوج، لو نشر بالمناشير ما حسّ به، ونصفه الآخر منقرس، لو طار الذباب بقربه لآلمه. والآفة في جميع هذا أني قد تجاوزت التسعين."

وبعدما عانى هذه الآفة لسنوات عدة وافته المنية بالبصرة في المحرم عام 255هـ/869م.<sup>40</sup>

**مكانته الأدبية والعلمية:** ساءت سمعته كمحدث فقد ذكر الخطيب أنه لم يكن يصلي، ويروي أبو الفرج الأصفهاني أن الناس سمّوه زنديقًا، ويقول ثعلب إنه كان ممن لا يوثق به كما أنه يعتبره كذابًا، فقد اعترف أبو العيّن (ت282هـ/890م) بأنه قد وضع حديث الفدك بمساعدة الجاحظ ثم عرضه على شيوخ بغداد فقبله كلّ منهم إلا ابن شيبّة ولكن صرح ابن حزم بأن لا يوجد شيء من أكاذيب الجاحظ في كتبه إلا أنه لا يحذر في نقل أكاذيب الآخرين.<sup>41</sup>

كان الجاحظ معتزليًا وهو كان من تلاميذ النظام إلا أنه خالف أستاذه في العديد من المسائل وعلى هذا فهو يعتبر مؤسسًا لفرقة جديدة تعزى إليه وتسمّى "الجاحظية". أما ميزات تلك الفرقة فيصعب علينا تحديدها وبيانها وذلك لأن معظم كتبه الكلامية قد ذهب بها الدهر، وأما ما ألفه المعارضون من كتب ورسائل فلن يمكن اليقين

<sup>38</sup> المصدر نفسه، 106/16

<sup>39</sup> تاريخ بغداد للخطيب، 219/12 والحموي، 113/16

<sup>40</sup> الخطيب، 219/12، والمروج، 344/2، وكتب مؤخر الذكر 256هـ أيضًا حسب بعض الكتاب.

<sup>41</sup> لسان الميزان، 355/4

بها لأنها تذكر أن الجاحظ كان يعتبر القرآن الكريم جسداً وكان يؤمن بأنه يقدر على أن يتحول إلى صورة إنسان أو بهيمة. ومن البديهي أن رجلاً حكيماً كالجاحظ لن يرجى منه أن يتلفظ بهذا.<sup>42</sup>

ويتصدر المعترفين بفخامة الجاحظ الأدبية اسم أبي الحسن ثابت بن قرة الحراني (ت288هـ/901م). وقد نقل الحموي عن كتاب "تقريظ الجاحظ" لأبي حيان التوحيدي أن الحراني كان يقول: إنني أغبط بثلاثة أفراد من الأمة العربية فقط؛ أولهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وثانهم حسن البصري رحمه الله تعالى وثالثهم الجاحظ والأخير يتصف بما يلي:<sup>43</sup>

"خطيب المسلمين، وشيخ المتكلمين، ومذره المتقدمين والمتأخرين. إن تكلم، حكى سحبان في البلاغة. وإن ناظر، ضارع النظام في الجدال. وإن جدّ، خرج في مسك عامر بن قيس. وإن هزل، زاد على مزيد.

حبيب القلوب، ومزاج الأرواح، وشيخ الأدب، ولسان العرب.

كتبه رياض زاهرة. ورسائله أفنان مثمرة.

ما نازعه منازع إلا راشاه أنفًا. ولا تعرض له منقوص إلا قدّم له التواضع استبقاءً.

الخلفاء تعرفه. والأمراء تصافيه وتنادمه. والعلماء تأخذ عنه. والخاصة تسلم له. والعامة تحبه.

جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم.

طال عمره. وفشت حكمته. وظهرت خلّته. ووطئ الرجال عقبه. وتهادوا أدبه. وافتخروا بالانتساب إليه. ونجحوا بالاقتداء به.

لقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب."

وهذا تعليق على الجاحظ من عالم لا يدين بالإسلام. وكان يقول أبو محمد الأندلسي إمام النحو واللغة والشعر والذي تلمذ لأبي سليمان المنطقي وأبي سعيد السيرافي:<sup>44</sup>

"رضيت في الجنة بكتب الجاحظ عوضاً عن نعيمها."

وكتب ياقوت الحموي:<sup>45</sup>

"اتفق أهل صناعة الكلام على أن متكلمي العالم ثلاثة: الجاحظ، وعلي بن عبيدة وأبو زيد البلخي. فمنهم من يزيد لفظه على معناه: وهو الجاحظ. ومنهم من يزيد معناه على لفظه: وهو علي بن عبيدة. ومنهم من توافق لفظه ومعناه: وهو أبو زيد البلخي."

<sup>42</sup> يرجى النظر إلى كتب أبي منصور البغدادي وابن حزم والشهرستاني والمقريزي بشأن عقائد الجاحظ

<sup>43</sup> معجم الحموي، 97/16

<sup>44</sup> أدب الجاحظ، ص 76

<sup>45</sup> المصدر نفسه، ص 67

أما فيما يتعلق باللفظ فالتعليق المذكور أعلاه على الجاحظ صحيح عندي مئة بالمئة. فهو يكثر تكرار الألفاظ والتفصيل. ولكن الحموي ذاته نقل أن "أبا زيد" كان مشهوراً بلقب "جاحظ خراسان". وفوق ذلك أن أديباً وكاتباً كبيراً مثل أبي الفضل ابن العميد (ت360هـ/970م) كان يسمي بـ"الجاحظ الثاني" فينقل قوله كما يلي:<sup>46</sup>

"ثلاثة علوم، الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس.

أما الفقه فعلى أبي حنيفة، لأنه دؤن وخلد. جعل من يتكلم فيه بعده مشيراً إليه ومخبراً عنه. وأما الكلام فعلى أبي الهذيل.

وأما البلاغة والفصاحة واللّسن والمعارضة، فعلى أبي عثمان الجاحظ. ولا يخفى على أحد ما لابن دريد (ت321هـ/933م) من عظمة في مجال العلم والفن، فذات مرة ذكر له أحد زينة الدنيا فقال: "هذه الأشياء تروق العيون فقط فأضف إليها الأشياء التي تريح النفوس." فقال الحضرة: "أذكر أنت إن أمكن لك" فقال ابن دريد:<sup>47</sup>

"كتب الجاحظ، وأشعار المحدثين وطرائف أبي العيناء."

والقاضي الفاضل (ت596هـ/1400م) الذي يلقب بـ"سيد كتاب العرب" يقول:<sup>48</sup>

"أما الجاحظ فما منا معاشر الكتاب إلامن دخل من كتبه الحارة، وشنّ عليها الغارة، وخرج وعلى الكتف منها الكارة." مؤلفاته ورسائله:

للجاحظ مؤلفات تفوق الحصر، وهي تزدهو على 360 كتاباً. رآها سبط ابن الجوزي في مكتبة ضريح الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى:<sup>49</sup>

وضبطها السيد بيلات (Pellat) ما يزدهو على 400 مجيلاً إلى أربىكا 2/1956 وقال: حتى اليوم يتوفر منها 30 في صورة تامة بينما التي لم تتمّ عددها خمسون.<sup>50</sup>

وفيما يلي نقدّم فهرس مؤلفات الجاحظ وتتصدرها التي ذكرها الجاحظ نفسه وتتلوها التي ذكرها المترجمون حسب الترتيب الزمني وينتهي هذا الفهرس على بروكلمان:

### الجاحظ: الحيوان

ذكر الجاحظ ما يلي من الكتب في مقدمة كتاب الحيوان:

1. إنكار بصيرة غنّام المرتدّ

سمّاه الحموي "كتاب عصام المريد" بينما ضبطه بروكلمان بـ"كتاب بصيرة غنّام المرتد".<sup>51</sup>

<sup>46</sup> معجم الحموي، 102/16

<sup>47</sup> أدب الجاحظ، ص 76

<sup>48</sup> شرح لامية العجم الصفدي، 281/1

<sup>49</sup> مقدمة كتاب التاج في أخلاق الملوك لأحمد زكي باشا، ص 37

<sup>50</sup> موسوعة الإسلام، 386/2 (طبعة جديدة).

<sup>51</sup> قد أحرق غنّام في عام 225هـ حسب قول الطبري (3/1302، طبعة أوروبا).

2. حكاية قول العثمانية والضرارية (ط)<sup>52</sup>  
أعتقد أن الجاحظ أشار هنا إلى كتابين وهما "كتاب العثمانية" و"كتاب مسائل العثمانية" حسبما أشار إليه المسعودي (مروج الذهب، 158/2). وأما الحموي وابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة، 362/1 و136/2 و332) فذكرا "كتاب العثمانية" فقط. وكتب بروكلمان اسمين له، وهما "مقالات العثمانية" و"الرسالة العثمانية" بينما يذكره ريو (تتمة الفهرس بالمتحف البريطاني 709) باسم "كتاب في مقالة العثمانية". والنسخة المطبوعة توافق رأي المسعودي وأشار إليه ابن قتيبة في "تأويل مختلف الحديث، ص 71".
3. حكاية مقالة من أين وجوب الإمامة  
ذكره الجاحظ في البيان والتبيين (374/3) باسم "الإمامة"، ويسميه الحموي بـ"كتاب وجوب الإمامة" وأما بروكلمان فهو يذكره بعنوان "كتاب الدلالة على أن الإمامة فرض".
4. كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن  
ذكر الحموي اسمه "كتاب نظم القرآن" وأما حاجي خليفة فيسميه "نظم القرآن" فقط. وقد نقل عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز (ص 136) واحداً من مقتبسات الجاحظ ولعله مأخوذ من ذلك الكتاب.
5. كتاب الأخبار  
كتب نشوان الحميري اسمه "كتاب الأخبار" في تفسير الحور العين (ص 80 ب). و"كتاب الأخبار المروية من رسول الله صلى الله عليه وسلم" (ص 86 ألف). وقد ذكر الحموي كتاباً آخر باسم "كتاب تصحيح الأخبار وكيف نصح" أيضاً. ويرى السندوسي أنهما و"كتاب تصحيح الأخبار" كتاب واحد لا غير.
6. كتاب أصحاب الإلهام  
سماه الحموي "كتاب الردّ على أصحاب الإلهام".
7. كتاب الأصنام  
اقتبس منه الدميري في حياة الحيوان (428/2، طبعة 1330هـ بمصر) ما يلي:  
"رأيت أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال في كتاب له سمّاه بـ"كتاب الأصنام": وخلف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته، وهي برة بنت أدبن طانجة جدّ كنانة بن خزيمة. ولم تلد الكنانة ولداً، ذكراً ولا أنثى. ولكن كانت ابنة أخيها برة بنت أدبن طانجة تحت كنانة بن خزيمة. فولدت له النضر بن كنانة. وإنما غلط كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة خلفه على زوجة أبيه لاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما. وهذا الذي عليه مشائخنا وأهل العلم والنسب. ومعاذ الله أن يكون أصحاب نسب النبي صلى الله عليه وسلم نكاح مقت، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ما زلتُ أخرج من نكاح كنكاح الإسلام حتى خرجت من بين أبي وأمي ومن أعتقد غير هذا فقد كفر وشك في هذا الخبر. والحمد لله الذي نزهه عن كل وهم وطهره تطهيراً".
8. كتاب أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات
9. كتاب أصول الفتيا والأحكام

<sup>52</sup> يراد "مطبوعة" بكلمة "ط"، جزئياً كان أو كلياً.

ذكره عبد القاهر الجرجاني في الفرق بين الفرق والرسعي في مختصره (ص 106 و 118) بعنوان "الفتيا" و"كتاب في الفتيا" بينما ضبطه الحموي بـ"كتاب الفتيا" وبروكلمان بـ"رسالة الفتيا".

10. كتاب الأوفاق والرياضات

11. كتاب الجوابات

الكتاب الذي ذكره الحموي باسم "كتاب جوابات كتاب المعرفة" هو نفس الكتاب كما يبدو لي. وقد ذكر ريو كتابًا باسم "كتاب المسائل والجوابات في المعرفة". أعتقد أنه نفس الكتاب.

12. كتاب الحجة في تثبيت النبوة (ط)

ذكره الجاحظ في الحيوان (50/6) باسم "كتاب النبوات" كما ذكره عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز (ص 208) باسم "كتاب النبوة". والكتاب الذي ذكره الحموي باسم "كتاب الحجر والنبوة" هو نفس الكتاب على ما أعتقد إلا أن السندوبي اعتبرهما كتابين أي "كتاب الحجة" و"كتاب الحجر". وقد ضبطه ريو في الفهرس (709) باسم "كتاب في حجج النبوة".

13. كتاب الحيوان (ط)

وقد ذكره الجاحظ في البيان والتبيين (28/1) وغيره من الكتب والرسائل.

14. كتاب في خلق القرآن

15. كتاب في الرد على الجهمية في الإدراك وقولهم في الجهات

16. كتاب في الرد على المشبهة (ط)

ولعل بروكلمان سمّاه بـ"رسالة في نفي التشبيه".

17. كتاب الرد على النصراني واليهودي (ط)

ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص 72)، وذكر الحموي كتابين مستقلين بـ"كتاب الرد على النصراني" و"كتاب الرد على اليهود". ويتبعه السندوبي وبروكلمان إلا أن بروكلمان اعتبر "كتاب الرد على النصراني واليهودي" عملاً مستقلاً بذاته. وأرى أن هناك كتابين للجاحظ في الرد على النصراني واليهود، جمع ذكرهما هنا. فيوجد كتاب مستقل بذاته باسم "ردّ النصراني" في المتحف البريطاني.

18. كتاب الزرع والنخل

ذكره الجاحظ في البيان والتبيين (93/1) 230/1، طبعة جديدة) أيضًا.

19. كتاب الصُّرَحَاءِ والمُجَنِّاءِ

ذكره الجاحظ في مقدمة "فخر السودان على البيضان".

20. كتاب العباسية (ط)

ذكر المسعودي نفس الكتاب باسم "كتاب إمامة ولد العباس"،<sup>53</sup> ويتبعه السندوبي وبروكلمان، ويذهب مذهبه الحموي إلا أنه كتب "بني" في محل "ولد". وأما النسخة المطبوعة فعنوانها "رسالة في العباسية" وهي مختلفة عن هذه كلها.

21. كتاب العرب والعجم

وما ذكره الجاحظ في الحيوان (3/7) من كتاب باسم "تفضيل العجم على العرب"<sup>54</sup> والحموي باسم "كتاب التسوية بين العرب والعجم" هو نفس هذا الكتاب على ما أظن.

22. كتاب العرب والموالي

أشار إلى هذا الكتاب ابن عبد ربه في العقد (367/3) باسم "كتاب الموالي والعرب" وفي 83/7 باسم "كتاب الموالي". وما ذكره بروكلمان من كتاب باسم "فضل الموالي على العرب" محيلاً إلى "الفرق بين الفرق" (ص 162)، هو نفس هذا الكتاب كما أعتقد.

23. كتاب الفرق بين اعتراض القمرويين استبصار المحق

لم يذكر هذا الكتاب أحد سوى الجاحظ.

24. كتاب فرق ما بين الجن والإنس

25. كتاب الفرق ما بين الملائكة والجن

26. كتاب الفرق ما بين الحيل والمخاريق

27. كتاب فرق ما بين النبي والمتنبي

سمّاه الحموي "كتاب النبي والمتنبي".

28. كتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس (ط)

ذكر الحموي اسمه "كتاب الفخر ما بين هاشم وعبد شمس" وتبعه السندوبي أيضاً. وسمّاه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (306/1 و 239/2 و 246 و 294) بـ "كتاب مفاخرة هاشم وعبد شمس" وفي (13/2) بـ "كتاب مفاخرات قریش"، ونقل منها مقتبسات طويلة. سمّاه بروكلمان بـ "كتاب فضل هاشم على عبد شمس" وهذا هو عنوان النسخة المطبوعة أيضاً.

ونقل الحصري اقتباساً طويلاً للجاحظ بعنوان "فصل لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في ذكر قریش وبني هاشم" في زهر الآداب {العقد الفريد، 53/1 (الهامش)}.

29. كتاب فضل ما بين الرجال والنساء والفرق ما بين الذكر والأنثى

ذكره الجاحظ في البيان والتبيين (77/1) باسم "فصل ما بين الذكر والأنثى" وفي (92/1) باسم "كتاب الرجل والمرأة".

30. كتاب القحطانية

<sup>53</sup> مروج الذهب، 157/2

<sup>54</sup> الحيوان، طبعة عبد السلام محمد هارون

أشار إلى هذا الكتاب ابن عبد ربه في العقد (231/6) باسم "فخر قحطان على عدنان" ويسميه الحموي "كتاب فخر القحطانية والعدنانية".

31. كتاب العدنانية في الرد على القحطانية

ذكره الجاحظ في الحيوان (3/7) باسم "تفضيل عدنان على قحطان".

32. كتاب المسائل

ذكره الجاحظ بنفس الاسم في كتاب البخلاء (26/1)، وذكر الحموي كتاباً آخر للجاحظ باسم "كتاب مسائل كتاب المعرفة". وأعتقد أن "كتاب المسائل في المعرفة" أصبح كذلك لأجل الخطأ الواقع في الكتابة.

33. كتاب المعاد والمعاش (ط)

ضبط ريو اسمه في الفهرس (709) "كتاب في المعاد والمعاش" بينما ذكره بروكلمان باسم "رسالة المعاد والمعاش".

34. كتاب المعادن والقول في جواهر الأرض

35. كتاب في الوعد والوعيد (ط)

ذكره الجاحظ في الحيوان (3/7) باسم "إيجاب الوعد والوعيد" بينما يذكره الحموي بـ"كتاب الوعد والوعيد". والكتاب الذي ذكره ريو باسم "رسالة في استیجاز الوعد" في الفهرس (710) وأما ما ذكره السندوبي وبروكلمان من كتاب باسم "رسالة في استیجاز الوعد والوعيد" هو نفس هذا الكتاب على ما أعتقد.

36. مفاخرة السودان والحمران (ط)

ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (71). وكتب المسعودي اسمه "فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان" في مروج الذهب (39/1). والكتاب الذي ذكره الحموي باسم "كتاب السودان والبيضان" والسندوبي باسم "رسالة في فخر السودان على البيضان" وبروكلمان باسم "فخر السودان على البيضان" هو نفس هذا الكتاب والحال أن بروكلمان يعتبره كتابين مستقلين.

37. المعارضة للزبدية

ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (71). وذكر الحموي كتابًا باسم "كتاب حكاية قول أصناف الزيدية" وذهب مذهبه السندوبي وبروكلمان. أعتقد أنه نفس هذا الكتاب ولكن السندوبي يعتبرهما كتابين مستقلين.

38. تفضیل الاعتزال علی کل نحلة

ذكر الحموي وتبعه بروكلمان كتابين باسم "كتاب الاعتزال وفضله" و"كتاب فضيلة المعتزلة" ولكن السندوبي يعتبرهما كتابًا واحدًا. <<<<<<<<<<<< (يتبع)

## "في قافلة الزمان" رواية ثلاثة أجيال المرأة

## (عبد الحميد جودة السحار)

وسيم حسن راجا<sup>55</sup>

إنَّ جودة السحار كاتب من كتاب القصة القلائل الذين تركوا علامات بارزة وسمات فنيّة في تطور الأدب العربي. وقد جاء قبله كبار الكتاب الذين لعبوا دورا هاما في تثبيت جذور القصة وتوسيع دائرتها ولكن السحار نوع عالمه ولون دنياه وتنوّع اتجاهاته وجوانبه خاصة في الجوانب الإسلامية والتاريخية هكذا أجاد السحار في مجالات القصة. فنجدّه كاتب القصة بارعا متخصّصا في هذا المجال بأسلوب شيق عميق جذاب يُشبع به رغم قصرها وله أيضاً باع طويل في القصة الطويلة اي الرواية، وله تجربة في اختيار الحدث الذي تدور حوله القصة وتحريك شخصياتها بطريقة مثقفة. ومن يطلّع على قصصه يتعرف الأحداث المتنوعة التي يتناولها من اجتماعية وتاريخية وسياسية ودينية، يجد أمامه فنانا مبدعا.

ولد عبد الحميد جودة السحار في 25 أبريل عام 1913م في بيت صغير بحي العباسية أسرة من الطبقة المتوسطة حرفة التجارة وكان من الأسرة التي كان أصلها من عرب الخليل في فلسطين وهذه الأسرة قد جاءت الي مصر في أواخر القرن الماضي ومنذ ذلك اليوم استقرت فيها. عاشت هذه الأسرة مشتركة في بيت واحد مع الجد والجدة والأخوال والأعمام، وكان لارتباتها الأسرى أثر عظيم في نشأة السحار وتربيته، كما كان معظم أفراد الأسرة يتمتعون بقدر كبير من الصلاح والتقوى وملزمون بالدين وتعاليمه وعقيدته.

استكمل السحار دراسة المرحلة الابتدائية بمدرسة الجمالية الابتدائية في سنة 1921م ثم التحق بمدرسة فؤاد الأول الثانوية وبعد ما تصرم الدراسة الثانوية التحق بالجامعة حيث حصل على الليسانس سنة 1934م وشغل بالحياة إلى أن استطاع على إخراج انتاجاته. انتقل إلى جوار الله تعالى هذا القاص البارع الأديب العملاق في 22 يناير عام 1974م بعد حياة حافلة بالايمن والابداع وخلف ورائه عملياته الأدبية.

اما محاولته الأولى في الرواية الاجتماعية فكانت بكتابة رواية "في قافلة الزمان" (1947م) التي يصف فيها المؤلف أحوال البيئة المصرية وعاداتها وما جرى فيها من التفاؤلات والخرافات وأحاديث الناس ومعتقداتهم إضافة إلى التقاليد المرموقة المتبعة في الأسرة ذات الشرف والمكانة. ويعالج فيها الكاتب معاناة أسرة مصرية ويتابع ما طرأ عليها من تغيرات الفكر والسلوك خلال أجيال ثلاثة عاشت في تواصل زمني تمتد من أواخر القرن الماضي الى قرب من الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) معتمدا على نماذج متميزة من الشخصيات تتبلور حركتها من المنطلقات مختلف العقائد وأنماط سلوكية متباينة وهي رغم تباينها واختلاف

<sup>55</sup> الباحث بالجامعة الإسلامية للعلوم والتقنية اونتي بورة

حركتها تسجل بوعى ملامح الحياة الاجتماعية في فترة من أخصب فترات التاريخ الحديث عطاء وحيوية.<sup>56</sup> أنها قصة الأجيال الثلاثة التي سمعها السحار عن جدته وجد أبيه وأعمام أبيه على مرور السنين، أو قصة قريبة من أسرته فحفظها وكانت البعض من تجاربه الذاتية، يكتب السحار عن أسباب تأليفه بنفسه :

"عزمت على أن أستمّد قصصى كلها من واقع الحياة، أن أبحث عن أناس أعيش بينهم، وأستقرىء حياتهم ثم أنسق المجرى الذى ستندفع فيه الشخصيات والأحداث حتى تبلغ القصة نهايتها الطبيعية. أن أقرب شئى إلى الانسان هو نفسه وأسرته والبيئة التي يعيش فيها، لذلك كان أول ما فكرت فيه أن أكتب قصة أسرتي، أو قصة قريبة من أسرتي، وأن أستعين بتجاربي وبما سمعته وما حفظته على مر السنين".<sup>57</sup>

بعد أمعان النظر في هذه الرواية " في قافلة الزمان" نجد تطور النظرية واختلاف السلوك بين نظرية الجيل الأول، ومزاج تفكيره، وبين نظرية الجيل الثالث، وطريقة حياته في لبس الملابس واختلاط النساء مع الرجال والشبان في دور العلم والمراقص وغناء الموسيقى وغير ذلك. كما نرى الحاج أسعد – بطل الجيل الأول – يرغب في صلاة كل ليلة، وفتكه الحزن عندما يقرأ في الكتاب عن المرأة التي تخرج سافرة الوجه كاشفة الصدر، عارية الرأس، وعارية الأرجل في المستقبل، ويرى أن ذلك من علامات الساعة حتى "أنكرت زكية – حفيدة الحاج أسعد – يوما عندما رآته مطاطنا بصره، ومسبلا جفنيه، والدمع يسح من عينيه، فينحدر على خديه وبيل لحيته، فاقتربت منه ، وقالت:

أتبكي يا جدي؟

فرفع الحاج أسعد رأسه، ونظر إليها من خلال دموعه، ولم ينبس كلمة،

فعادت تسأله :

وما يبكيك ؟

فأشار إلى الكتاب المفتوح في حجره، فقالت :

وما به ؟

فقال في صوت خفيض أسيف :

سيأتي أوان تخرج فيه النساء عرايا، سافرات الوجوه، كاشفات الصدور.

فأطرقت زكية قليلا، وقد تضح وجهها بحمرة الخجل، وسرح خيالها ولكنها عجزت عن أن تتصور نساء

<sup>56</sup> . التيار الإسلامي في قصص عبد الحميد جودة السحار لصفوت زيد ص/143

<sup>57</sup> . القصة من خلال تجاربي الذاتية لجودة السحار ص/25

سافرات الوجوه , كاشفات الصدور, يخطرن بين الرجال مرفوعات الرؤوس, إن ما يقصه جدها يبدولها عجباً. إنه مجرد أوهام وخیالات, فمن ذی التي تقبل هذا العار! وأي الرجال هؤلاء الذين يسمحون لبناتهم وأخواتهم وزوجاتهم أن يخرجن حاسرات سافرات.

وقالت لجدها

هذا لا يصدق.

فقال الحاج أسعد في يقين

وسيتكلم الحديد,

فاشتد انكارها

وقالت في إنكار, فمحال أن يتكلم الحديد

فهمس جدها في حسرة إن ذلك من علامات الساعة وسيقع كل ذلك.<sup>58</sup>

ثم يعرض علينا السحار النماذج المتعددة وهي خروج المرأة من الأقدار الدينية في الأجيال المتقدمة التي جاءت بعد ذرية الحاج أسعد, واختلافها من العادات والتقاليد القديمة المتوارثة, كما أخذت الحياة تتأثر بدعوة المرأة إلى التحرر, كما يعرض علينا المؤلف حزن أحمد وغضبه في الجيل الثاني, عندما يرى أخته التي كانت ابنة الثامنة بين الرجال في الزحام الشنيع على ناصية الشارع يوم مولد البيومي تتلذذ الأناشيد وتهزّز بالفرح.

فيأتي أمامنا نماذج متعددة خلال هذه الرواية ويقص علينا الكاتب قصة رائعة عن زوجة محمد وهي حينما جاء محمد بمؤذن الجامع ليكبر في أذن ست زكية, يُشير إلى زوجته أن تخلص الحجرة وتذهب بعيداً فلا يليق بها أن تظهر هكذا أمام الرجال. كما أشار إليه السحار:

"وجاء محمد يتبعه مؤذن الجامع القريب من دكانه, فهرع النسوة إلى حجرة قريبة وأغلقتن بابها عليهن, ولكنهن تركن فرجة ينظرن منها ما يجري في حجرة زكية, ودخل محمد واجماً فرأى زوجه بجوار ابنته الممددة كلوح من الخشب, فسألها في اضطراب:

ما لها ؟

فقالت نفيسة والدموع تطفر من عينيها :

لم يعد جسمها خالصاً, لمسها إخواننا, ومن ساعتين وهي على هذه الحال.

فقال محمد وقد أطرق في حزن: وما العمل ؟

<sup>58</sup>. في قافلة الزمان لجودة السحار ص/ 8

دع المؤذن يكبر في أذنها فتفر العفاريات إذا سمعت الأذان.<sup>59</sup>

ونظر محمد إلى نفيسة كأنما يقول لها: وأنت هل تظهرين هكذا أمام الرجل، وفهمت نظرتة، فانسحبت إلى الغرفة الأخرى، وأراد محمد عينيه في المكان، حتى إذا وقعنا على ملاءة كبيرة على أحد المقاعد، تناولها وستر بها جسد ابنته، ثم أذن للمؤذن بالدخول.

ثم يحكى لنا الكاتب كيف ظلت المرأة في نظر الجيل الثاني ظلاً للرجال وتابعا لهم، ولا تحس حاسماً أن تقول لزوجها "السيد" 6 حتى جاء الجيل الثالث وتحقق ما كان يخشاه الحاج أسعد، فترى كيف تخرج المرأة سافرة عاهرة، ترتاد الشواطئ كاسية وعارية مختلطاً بالرجال في الشوارع وبالشباب في حلقات العلم والعمل وهكذا خلعت حياءها وتمادت في غيها. كما يصور لنا السحار هذا المنظر بصورة دقيقة حيث يقول: "ونهض (مصطفى) من نومه في الصباح الباكر وارتدى ثيابه ودخل غرفة مكتبه، ووقف في نافذتها يرقب شرفتها (كوثر). وانقضى بعض الوقت قبل أن تظهر في الشرفة وتشير له بالنزول. وقابلها عند نهاية الشارع، كانت في ثوب أبيض بسيط يحاكى الأثواب التي تخصصها فتيات المدارس للألعاب الرياضية، وكانت تحمل في يد فنوغرافا على هيئة صندوق أسود صغير، وتحت إبطها الآخر صندوق آخر به بعض الأسطوانات، فمد يده وحمل عنها الفنوغراف."<sup>60</sup>

أما مصطفى ابن الجيل الثالث فرأى كل ذلك وشهدا وأحبها حباً شديداً، ولكنه غير راض عنها رضا تاماً، وبالرغم من ذلك يريد أن يتزوج الفتاة المثقفة العصرية الحديثة، والتي تفهم أن الحياة ليست مأكلاً ومشرباً ونوماً فقط، ولكنها كفاح ونضال، وأقنعه صراع نفسه الشديد في الزواج من "كوثر" الفتاة العصرية، ترك رغبة أهله في تزويجه من "فتحية" الفتاة التقليدية المحافظة، والتي ليست مساوية لكوثر من حيث العلم والثقافة، ولكنها تتفوق عليها في الحسن والجمال، وتظل هذه الحيرة ضاربة أعماقه، حتى يرى كوثر علي الشاطئ وهي عارية، تسمع الأغاني الفاحشة، وتقدم إليها شاب أجنبي وسارت معه، حتى هبطا إلى حلقة، ووضع ذراعية حول خصرها، وراحا يرقصان في غبطة وسرور فثارت دماء مصطفى في عروقه، وجعل الحنق الشديد ينتشر في صدره حتى أحس به يضيق أنفاسه، وإنقبض قلبه، فقام، وإنصرف إلى بيته، وظهر عليه أنه روح العصر والمدنية.

هكذا نجد كيف تحولت العادات والأطوار القديمة في الأجيال الثلاثة بغير الضوضاء والتورات، كما كتب الأديب البارع سيد قطب عن قيم هذه الرواية "هذه هي الأجيال الثلاثة الأخيرة في مصر، فقد تمت فيها هذه الأعاجيب، يعرضها المؤلف عرضاً صادقا سريعاً، وما كنا نحس المفارقة بين البدء والنهاية، إن هذه

<sup>59</sup> . نفس المصدر 162

<sup>60</sup> . في قافلة الزمان لجودة السحار ص 380/

القافلة تسير في طريقها المرسوم، نسير خطوة خطوة، وكل مرحلة تأتي بعد مرحلة السابقة بلا ضجة ولا ضجيج، وتحدث السحار فيها عن أحداث قد مرت في حياة كل قارئ بسبب الأسرة الكبيرة وإجماع أهل والأحباب، ولم يلفت زمام السيطرة على الحدث ولو لحظة، وهو ينتقل بنا من حادثة إلى أخرى في تسلسل مقنع، فيقف الحاج أسعد في مطلع القافلة، ويقف مصطفى في ذيلها، وهاتان هما شخصيتان أساسيتان في الرواية بينما تحفل القافلة في الوسط بحشد من الشخصيات موزعة توزيعاً دقيقاً على المسرح، بعضها قريب من المحور، وبعضها بعيد، ولكنها تشترك جميعاً في سمات معينة الصدق والطبيعة والوضوح".<sup>61</sup>

وعصارة القول نجد الكاتب في هذه الرواية معالجا ومحللا لقضايا الحياة التي عاشها الأديب أو عايشها وأنه يرشد إلى الطريق السليم للحياة ويعالج المسائل الدائمة للحياة التي تتعلق بالإنسان عامة وبالنساء خاصة ومن أهم ميزات هذه الرواية هي أنها تذهب بالقراء إلى الأخلاق الفاضلة والقيم الإسلامية فكان السحار من الأدباء الذين يجهدون لأداء مسؤوليتهم في الحياة مخلداً أثراً دائماً للجيل الجديد هكذا احتل مكانته اللائقة في مجال الأدب بعد كتابة هذه الرواية وهذا ما أشار إليه سيد قطب قائلاً:

" نحس بعد قراءة هذه الرواية عندنا اليوم الرواية .....هذه حقيقة نستطيع أن نجهر بها دون خجل- ودون إدعاء".<sup>62</sup>

#### المصادر والمراجع:

1. القصة عند عبد الحميد جودة السحار لفاطمة الزهراء
2. رحلتي مع الرواية: يوسف الشاروني
3. أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية: الدكتور محمد زكي العشماوي
4. القصة من خلال تجاربي الذاتية: عبد الحميد جودة السحار
5. السحار مفكراً أدبياً وسينمائياً: عبد المنعم صبحي
6. التيار الإسلامي في قصص عبد الحميد جودة السحار: صفوت زيد
7. مصادر نقد الرواية: أحمد الهواري
8. صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة: الدكتور طه وادي
9. في قافلة الزمان: جودة السحار

#### يوسف إدريس في نظر الكتاب المعاصرين والنقاد

<sup>61</sup> مصادر نقد الرواية لأحمد إبراهيم الهواري ص/ 204

<sup>62</sup> المصدر السابق ص/ 204

أرشد أحمد بت شوبياني<sup>(63)</sup>

إن قيل من هو فارس القصة القصيرة ستكون الإجابة حتما أنه هو يوسف إدريس<sup>64</sup>. يوسف إدريس بدون ريب علامة بارزة من علامات الأدب العربي عبر العصور. إن القصة القصيرة التي تعتبر فنا مستحدثا مستوردا كان هو إدريس الذي جعله فنا أصيلا قائما بنفسه يستمد قوته من التراب العربي المصري وتنبعث منه النكهة العربية الخالصة من خلال تجريبه الحقيقي الواسع العميق. قد جاء قبله كبار الكتاب الذين لعبوا دورا هاما في ترسيخ جذور القصة القصيرة وتوسيع دائرتها ولكن كان هو إدريس الذي نوع عالمه ولون دنياه. فلا غرو إذا سمي بأمير القصة القصيرة.

يوسف إدريس هو من أشهر الأدباء العرب الذين أثروا الأدب العربي بالقصص والروايات والمسرحيات. ومكانته في مجال القصة مكانة نجيب محفوظ في مجال الروايات. حصل على الجوائز المختلفة في الأدب نحو جائزة الدولة التشجيعية، وجائزة عبد الناصر، وجائزة صدام حسين، وجائزة الدولة التقديرية. منذ أول قصة ظهرت له كان موضع إهتمام وتقدير وتقييم القراء والنقاد. وما دام على قيد الحياة ظل يشغل الناس طورا بقصصه وتارة برواياته ومسرحياته وتارة أخرى بمقالاته.

إسهاماته: يوسف إدريس قاص، ومسرحي، وروائي كبير، يعده معظم النقاد أهم كاتب قصة في العالم العربي وخلال حياته الأدبية الحافلة قدم اثنتا عشرة مجموعة قصصية منها: "أرخص ليالي" وهي مجموعته الأولى وقد صدرت في القاهرة وتلتها: "أليس كذلك"، و"البطل"، و"حادثة شرف"، و"آخر الدنيا"، و"العسكري الأسود وقصص أخرى"، و"لغة الآي آي"، و"النداهة"، و"بيت من لحم"، و"أنا سلطان قانون الوجود"، و"أقتلها"، و"العتب على النظر"، وهي المجموعة القصصية الأخيرة التي صدرت له عن مركز الأهرام عام 1988<sup>(65)</sup>.

أما في مجال الرواية فقد قدم فيه ست روايات أولها "قصة حب" وقد صدرت في القاهرة لأول مرة عام 1957، وتلتها: "الحرام"، و"العيب"، و"رجال وثيران"، و"البيضاء"، و"نيويورك" 1980. وكذلك أسهم يوسف إدريس في مجال المسرحية بإبداعات فنية قيمة. فالف: "ملك القطن أو جمهورية فرحات"، و"اللحظة الحرجة"، و"الفرافير"، و"المهزلة الأرضية"، و"المخططين"، و"الجنس الثالث"، و"نحو مسرح عربي"، وهو يضم مسرحياته السابقة و"الهلوان" وهي آخر مسرحياته وقد مثلت في القاهرة عام 1983م.

(63). باحث الدكتوراة في جامعة بابا غلام شاه بادشاه راجوري، جامو وكشمير.

(64) يوسف إدريس هو كاتب قصصي، مسرحي، وروائي مصري. ولد 19 مايو سنة 1927م. بقرية البيروم في مصر وتوفي في 1 أغسطس عام 1991م عن

عمر يناهز 64 عاما.

(65) د. حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، ص 618-621.

إلى جانب إسهاماته الفنية ليوسف إدريس مؤلفات ذات قوة وحيوية في الموضوعات الفكرية. فله أحد عشر كتاباً تحوى مقالات أو دراسات أولها: "بصراحة غير مطلقة" وقد صدر في القاهرة سنة 1967، وتلاه: "إكتشاف قارة"، و"مفكرة يوسف إدريس" في جزئين، و"جبرتي الستينيات"، و"فقر الفكر وفكر الفقر"، و"أهمية أن نتثقف يا ناس"، و"إنطباعات مستفزة"، و"الأدب الغائب"، و"إسلام بلاضفاف"، و"الإيدز العربي"، و"مدينة الملائكة"، وقد ملأت مقالاته وأحاديثه الجرائد والمجلات المصرية والعربية<sup>(66)</sup>.  
آراء الكتاب والنقاد عن يوسف إدريس:

هنا نود التقديم بإيجاز لآراء بعض الكتاب والنقاد البارعين عن شخصية وأدب يوسف إدريس حتى يمكن لنا تبين ملامح شخصية إدريس بوضوح وجلاء .

يقول رجاء النقاش عن شخصية يوسف إدريس "إنه فنان من نوع خاص، وهو نوع نادر وأصيل. فهو فنان يعيش الحياة التي يكتب عنها بكل عواطفه وأعصابه، وأكد أقول دون أى مبالغة، إن الكلمة التي يكتبها يوسف إدريس هي قطرة من دمه، أو هي جزء من جسده. إنه فنان لا (يتفرج) على الحياة، ولكنه يعانيها بعنف وقسوة ، وبقدر ما أشعر بالسعادة والمتعة في قراءة أدب يوسف إدريس فإنني أشعر أحياناً بالخوف، لقسوة ما يقدمه إلينا هذا الفنان وعنفه ومرارته في بعض الأحيان والقسوة والعنف والمرارة في فن يوسف إدريس هي كلها ثمرة للصدق مع النفس والناس والحياة.<sup>(67)</sup>

و يقول د. "جابر عصفور": "كان "يوسف إدريس" واعياً بالأسباب السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية التي تحول بين المبدعين وممارسة جساتهم الإبداعية إلى المدى الذي يعصف بالمحرّمات التي كادت تشمل كل شيء، والممنوعات التي يتسع مداها بالقدر الذي يتسع به مدى الإستبداد والتسلط مقروناً بالتعصب والتطرف على كل مستوى من المستويات. وأغلب الظن أن "يوسف إدريس" كان واعياً بمعنى من المعاني بالجدور القديمة والأصول الراسخة للقمع في تراثنا، تلك الجدور والأصول التي أودت بحياة الكثيرين من المبدعين على إمتداد العصور".<sup>(68)</sup>

ويقول محمود أمين العالم إن يوسف إدريس جعل من ممارسة حياته نفسها، وبشكل إرادي واع جسور، سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي، مجالا حميما للتجريب والغوص والمعاناة والمصادمة بهدف إكتشاف جوهر الطبائع والدلالات والقيم، والإمكانات والأشواق الخافية في أغوار النفوس وفي تشابك العلاقات والأوضاع الاجتماعية والإنسانية عامة.. الغوص والإلتحام والمصادقة كانت بعض مناهجه في المعرفة. ولم يكن الأمر يتم إفتعالاً وتصنعاً، بل كان ينبع تلقائياً برغم إرادته له ووعيه به.<sup>(69)</sup>

(66) المرجع السابق، ص 618-621.

(67) بقلم كبار الأدباء ، يوسف إدريس ، ص 137.

(68) ماهر حسن - المصرى اليوم عدد 2009-05-19.

(69) جهاد فاضل ، جريدة الرياض ، عدد 2007-09-19.

ويضيف محمود أمين العالم في لقاء قديم معه: "بين كوكبة من الأصدقاء، كنا نحتفل بمناسبة تتعلق به. وقف كل واحد منا يتحدث عن يوسف إدريس. وأذكر اني قلت له: إنك يا يوسف تذكرني دائما 'بفاوست' الذي يدفعه حبه للمعرفة والامتزاج بها إلى مغامرات يمكن أن تتجاوز كل حدود ممكنة أو مألوفة، إلا أنك لا تفقد ذاتك أبدا في هذه المغامرات، وإنما تخرج من كل مغامرة معرفية. مهما طالت ومهما كانت طبيعتها. بكنوز من الخبرة التي تغذي بها إبداعك الأدبي.. ويقول محمود أمين العالم أن شطحاته الشخصية كانت مصدرا يستقي منه الهامه الفني، وكان يقدم حياته قربانا للشيطان الإبداع، لكنه ما كان يفقد أبدا وعيه الفكري والتزامه الوطني والاجتماعي، أو يبتذل موهبته الفنية."<sup>(70)</sup>

ويقول عبدالرحمن أبو عوف: "إن يوسف إدريس كمواطن وفنان وأنجاز أدبي وفني وفكري شامخ أصبح جزءا مضمئ وحى ومستمر من وجدان وضمير وشخصية شعبنا في تصديه لكل ما يعرقل طموحاته المشروعة في العدل والحرية والتقدم والنهضة من معوقات داخلية وخارجية."<sup>(71)</sup>

ويقول الأستاذ أنيس منصور: "لا بد أن يكون فهم 'يوسف إدريس' للقصة القصيرة فهما سليما، وأن يكون إدراكه لجسم المجتمع قويا واضحا. فهذه القصص القصيرة أو القطاعات الطولية والعرضية التي اختارها كلها رقيقة شفافة حية متحركة ومرسومة بدقة (زائدة). والحياة عنده تتدفق بسرعة واحدة، يستوي في ذلك الحانوني وعسكري المرور والطبيب الحشاش ومدرس الكيمياء. هذا هو ما تحسه بعد أن تقرأ كتاب (أرخص ليالي) الذي صدر أخيرا للطبيب الأديب يوسف إدريس"<sup>(72)</sup>

ويقول أحمد عباس صالح عن شخصية يوسف إدريس: "إن يوسف إدريس يشيع الأمل ويملاً النفس لأنه يضع وزميله نعمان عاشور حجر الأساس لمسرح مصري أصيل، يتجاوز مع التطور الاجتماعي الذي نجتازه الآن.. وهو مسرح عظيم سيكون علامة مشرقة لحضارة مصرية عظيمة تماشي أعظم الحضارات"<sup>(73)</sup> الخاتمة:

يوسف إدريس هو قاص مبدع وروائي بارع ومسرحي ماهر ومفكر مستنير، أسهم في تطوير الفنون الأدبية المختلفة إسهامات كبيرة. فهو من أبرز كتاب العرب الذي أثرى الأدب العربي بإنتاجاته القيمة في القصة القصيرة والمسرحية والرواية وحصل عدة جوائز لأعماله الأدبية. إلا أن الميزة التي إمتاز بها دون الأدباء والكتاب الآخرين هي ميزة براعته الفذة في ميدان القصة القصيرة حتى أنه لقب بملك القصة القصيرة وأمير القصة القصيرة أو فارس القصة القصيرة. فإن الأسلوب القصصي الذي وضع أساسه كان جديدا ومثيرا في زمانه ومختلفا عما سبقوا من الكتاب في هذا المجال. فإنه من خلال مجموعة إثر مجموعة أثبت للنقاد والقراء على السواء أن قصصه من جنس آخر.

(70) المرجع السابق.

(71) عبد الرحمن أبو عوف، فصول في النقد والأدب، ص 207.

(72) بقلم كبار الأدباء، يوسف إدريس، ص 133

(73) المرجع السابق، ص 369.

## المصادر والمراجع:

1. يوسف إدريس، الفراير، مكتب مصر، القاهرة، 1964.
2. يوسف إدريس، اللحظة الحرجة، مكتب مصر، القاهرة، 1958.
3. يوسف إدريس، المخططين، مكتب مصر، القاهرة، 1969.
4. يوسف إدريس، بيت من لحم، مكتب مصر، القاهرة، 1971.
5. يوسف إدريس، جمهورية فرحات، مكتب مصر، القاهرة، 1957.
6. يوسف إدريس، رجال وثيران، مكتب مصر، القاهرة، 1964.
7. يوسف إدريس، أرخص ليالي، مكتب مصر، القاهرة، 1954.
8. يوسف إدريس، الهلوان، مكتبة مصر، القاهرة، 1983.
9. يوسف إدريس، البيضاء، مكتب مصر، القاهرة، 1970.
10. يوسف إدريس، الحرام، مكتب مصر، القاهرة، 1959.
11. يوسف إدريس، العيب، مكتب مصر، القاهرة، 1962.
12. يوسف إدريس، ملك القطن، مكتب مصر، القاهرة، 1957.

## • المصادر الثانوية

1. جهاد فاضل، أدباء عرب معاصرون، دارالشروق، القاهرة، 1968.
2. د. حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، دارالشروق، مصر، ط 2، 2009.
3. د. زبير فاروق، علمي وأدبي مطالعة، دار الفاروق، دهلي، 2005.
4. سورة الأعراف، (القرآن).
5. بقلم هؤلاء، د. يوسف إدريس، مكتبة مصر.
6. د. شوفي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دارالمعارف، القاهرة، ط 3.
7. صالح مرسى، هم وأنا، مكتبة مديبولي الصغير، 1996.
8. د. طه وادي، دراسات في نقد الرواية، دارالمعارف، القاهرة، ط 2، 1993.
9. د. عبدالمحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة، دارالمعارف 1119 كورنيش النيل، القاهرة، ط 5.
10. د. فاروق عبد المعطي، يوسف إدريس بين القصة القصيرة والإبداع الأدبي، دارالكتب العلمية، بيروت، 1994.
11. ناجي نجيب، الحلم والحياة في صحبة يوسف إدريس، دار الهلال، القاهرة، 1985.
12. Roger M.A. Allen, Critical Prospective on Yusuf Idris, Lynne Rienner Publishers Inc, 1994.
13. Deerek Hopwood, Egypt: Politics and Society 1945-1981, George Allen & Unwin (Publishers) 1983, Ed 2.
14. M.M.Badawi, A New Concept of Arabic Literature.

## معالجة الفن والمضمون في مقالات "المساوات" لـ "مي زيادة"

سيرت بتول

إن مي زيادة أديبة كبيرة وناقدة وشخصية نموذجية، منعطشة إلى الخبرة الإنسانية فهي نعمة من نعم الله لأهل مصر خاصة وغيرها من المستفيدين بها عامة. فقد أعطاها الله الذكاء والبطانة من صغرها، لذلك كانت ذات ذاكرة قوية، تعد إحدى رواد فن المقالة. إنها برعت في الفنون المختلفة من الأدب العربي. وكذلك نجدها تمتاز بين معاصريها بأنها كانت تمتلك رجاغة الفكر وأصاله الرأي مع ذكاء طبعها.

ولدت في الناصرة (فلسطين) عام 1886م، إسمها الأصلي ماري إلياس زيادة، واختارت لنفسها مي فيما بعد. وتوفيت الأديبة الأنسة مي في 19 تشرين الأول (أكتوبر) عام 1941م في مستشفى المعادي بالقاهرة وكان عمرها 55 عاما ودفنت في القاهرة وقالت السيدة الشعراوي في تأبينها "كانت مي المثل الأعلى للفتاة الشرقية الراقية المثقفة"<sup>1</sup>.

كانت مي زيادة أشهر أديبة عربية سبقت عصرها، فقد أقامت صالونا أدبيا في منزلها، استقبلت فيه كبار رجال السياسة والأدب والفكر والفن في وادي النيل وبعض الوافدين إلى الديار المصرية، وكتبت في الصحف والمجلات، وأصدرت ثلاثة عشر كتابا بين مؤلف ومترجم، وألقت العديد من الخطب والمحاضرات، وداومت على دروس الفلسفة في الجامعة المصرية. أتقنت تسع لغات هي العربية والفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية والإسبانية واللاتينية والسريانية واليونانية القديمة. ولعل أطلق عليها أدباء ومفكرو عصرها العديد من الألقاب منها "الأديبة والناطقة وفريدة العصور وحلية الزمان، وعريس الأدب الرجالي وغيرها. إن مقالاتها حازت أهمية كبيرة من حيث الفكر والفن. فقد ترعرعت في بيئة علمية مزدهرة بالنقاش حول مواضيع حارة مثل القومية وحقوق المرأة وإجتماعية ونقدية. عالجت مي زيادة كثيرا من الموضوعات الأدبية كالمقالة والخطابة والمحاضرة والرسائل. وتميزت هذه الموضوعات بالإتساع والتنوع والإضافات مستندة إلى ثقافة وفكر واسعين، وقد دلّ كل ذلك على مقدرة مي زيادة ووعيمها ومواكبتها كل جديد.

"المساوات" لمي زيادة مجموعة مقالات نشرت في المقتطف سنة 1921م. تناولت فيها المواضيع التالية: الطبقات الإجتماعية، والأرستقراطية، والعبودية، والرق، والديمقراطية، والإشتراكية، والفوضوية، والعدمية. الكتاب "المساوات" معالجة لقضية الطبقة الإجتماعية. وهو فريد من نوعه في اللغة العربية، تبحث فيه الطبقات الإجتماعية وكيفية نشوئها، ثم تعرض لحلول المشكلة عرضا حافلا بالدقة وعمق النظر.

عالجت ميّ زيادة موضوع الحكم في كتابها "المساوات" نثرت آرائها هنا وهناك من شتى أبحاثها. ودعمها لموقفها في كتابها فقد استعرضت الأنواع المختلفة من التيارات والنظريات مثل الطبقة والإستقرائية والعبودية وغيرها. فمثلا وإذا عالجت العبودية والرق استعرضت مراحلها عبر التاريخ، وبينت العوامل التي عملت على إلغاء ضروب العبودية وتدعيم قواعد التحرير، وهي ترى أن هذه العبودية مازالت تلاحق الإنسانية بصور مختلفة وأساليب شتى. ودعت ميّ زيادة إلى المساواة بين المرأة والرجل، ودعت فيه إلى منح المرأة حقوقا متساوية مع الرجل، لكن مفهوم ميّ عن المساواة في الكتاب ظل عاما غائما، واقتصر على توفير الاحترام والإفساخ في مجال التعليم والعمل دون أن يرقى إلى تأمين الحقوق القانونية أو المشاركة السياسية<sup>2</sup>.

وقد أبدت في كتابها "المساواة" نقدا للخطاب الإشتراكي لأنه يبسط مفهوم المساواة ورأت أن مفهوم العدالة أكثر واقعية وملائمة للطبائع البشرية والحاجات الإجتماعية<sup>3</sup>.

حاولت فيها بأسلوب واقعي إبراز ظاهرة التفاوت الطبقي في المجتمع فتقول في مقدمة كتابها "أما رأيت الثري تهب الأرض سيارته كأن السعد أقام من الأبهة والرواء هالة بينه وبين سواه. وهناك في الزاوية يدب المعدم ويختفي متأوها كأنه في تمرغه حشرة خبيثة تأنف الأرض حسها وتمقت انعكاس ظلها<sup>4</sup>.

انتقدت في هذا الكتاب التمييز الطبقي في المجتمع فهي لا تريد الرق والعبودية. إن الاستقرائية في رأيها جزء لا يتجزأ من ثروة الأمة. هي تقول "لا أقول إن الاشراف والتفاضل ضروري في الطبيعة فحسب، بل أقول أنه من الطبيعة ولا يمكن خوفه لأنه كالانخفاض جزء من أجزاء الوجود"<sup>5</sup>.

ثم تحاول أن تقترح بعض الاصلاحات في النظام الطبقي في المجتمع وتقدم حلا منطقيا للمشاكل التي يواجهها المجتمع.

يقول أنيس المقدسي عن المساواة "تناولت (ميّ زيادة) في هذه الرسالة مفهوم المساواة عبر مرورها على عدة مصطلحات ومناهج حكمية وسلطوية، فبعد أن أشارت إلى الطبقات الإجتماعية انحدرت نحو الاستقرائية مناقشية فيما بعد ظاهرتي العبودية والديمقراطية، كما فذت الإشتراكية بنوعها السلمي والثوري، متطرفة إلى مصطلح الفوضوية وتاريخه الأوروبي. ولم تخف الكاتبة الإيمان بفكر الاشتراكية الذي يظهر جليا في الكتاب كله تقريبا، وأنها الحل وأنها الطريق، وأن المستقبل كله لها، وأن كل ما سبق في التاريخ الاجتماعي للإنسان يصل بنا لهذه الغاية، وهذا لما مثلته الاشتراكية وقتها من نظام على سائر النظم. والكتاب ذو محتوى مهم عن التطور الإجتماعي للبشر، كما أنه لمسة فكرية على عدة نظم اجتماعية تصدرت المشهد فترة ليست بالقليلة من عمر الإنسان في العصر الحديث"<sup>6</sup>.

يقول الرافي عن المساواة "وجاء كتابها "المساواة" واحد من الكتب النادرة والجديدة في عصرها والتي طرحت القضية من كل جوانبها وسالت كل الأسئلة التي لا تزال حتي في عصرنا هذا تبحث عن إجابات شافية ومافقي المفكرون والفلاسفة والأدباء والسياسة يقدحون أذهانهم ويستلهمون ما تراكم من خبرة البشرية وتجاربها وإخفافها ونجاحها تطلعا لمثل هذه الإجابة.

إن ميّ زيادة في هذا الكتاب هي باحثة من طراز رفيع فإنها تخلع جزئيا ثوب الشاعرة الأدبية لتبرز لنا الصرامة العلمية التي تجعل الكاتبة تختار شكل المناظرة بين الأفكار والنظريات المتباينة وتمنع صوتها، بل أكاد أقول حتى عواطفها لفكرتين متناقضتين حتى تعطي للقارئ حقه هو نفسه في الاختيار والقرأة الحرة، وفي الفصل قبل الأخير من كتاب تقدم (ميّ) هذا الشكل للكاتبة في صورة مباشرة وهي حوارية بين الأطراف المختلفة يدافع فيها كل طرف عن وجهة نظرة بحماس وحرية كاملة، حتى انها تعطي لنفسها ككاتبة الحق في أن يكون لها ضمن هذا التعدد في الأصوات صوتها الخاص، وتصبح طرفا في الحوار، بل وتبرز لديها قدرة لم تستخدمها هي بعد ذلك في كاتبة المسرح.<sup>7</sup>

يقول أنيس المقدسي عن المساواة "إذا قرأنا كتاب ميّ "المساواة" نعثر على أفكار متشعبة تكشف جوانب شتى من شخصية ميّ وذلك بعبارات أنيقة ولغة السليمة الصياغة منتقاة الألفاظ، وأسلوب صحيح واضح شعري للرومنطيقتين أثركبير عليه، كما إننا نلمس في الكتاب الروح النسوي الصادق العفوي في أسلوب بسيط يخلو من العمق".<sup>8</sup>

ويقول منصور فهمي عن "المساواة" وتلك الكاتبة المفكرة التي تبحث في معنى المساواة وتضع لنا فيها رسالة قيمة يتجلى فيها الأدب والعلم، وسعة العرفان، وتبحر في التاريخ والإجتماع تعود من جولتها النشيطة اليقظة، ومن ميدان بحثها الممتع المشبع لتشعرنا أنها مؤمنة بأن الغلبة النهائية إنما تكون للخير والجمال والأصلح برغم ما تراه في الحياة من الجوانب المتناقضة إذا يكون بجانب طلاح، وبجانب الحسن قبح، وبجانب صحة سقم، وأنها برغم ما تراه من ذلك تستوجب العمل والجد والدعوة لتغيير كثير من الأنظمة ولعادات لأن التطور نزعة والتغيير والتبديل سنة من سنن الوجود.<sup>9</sup>

أشارت وداد سكاكيني إلى ناحية أخرى في "المساواة" حيث أشارت إلى تحدث ميّ عن عدد من الألقاب الموروثة في الإمارة، وبعض الألقاب الموروثة أو المكتسبة في لبنان ومصر، ومن هذه الألقاب العثمانية باشا، وبك، وأفندي، كما بينت تناول ميّ في هذه المقالات بعض القضايا الفكرية التي تهم الشرقيين على اختلاف

مذاهبهم، وتياراتهم، كما كانت الحضارة عند ميّ حضارة إنسانية، لهذا فقد ركزت على النهضة العربية، ومن ضمنها نهضة المرأة في شتى كتاباتها<sup>10</sup>.

يقول حنا الفاخوري عن المساواة "راحت تبحث عن المساواة التي يتغنى بها كل نوع من أنواع الحكم، زكل مذهب من مذاهب الإجتماع، وإذا بتلك المساواة مثل أعلى تتبعه البشرية ويظل هاربا أمامها إلى منتهي الدهور. وتبين إخفافها في تحقق المساواة وذلك بأسلوب علمي دقيق وبجولات واسعة في تاريخ الشعوب وفلسفاتها، وينظر بعيد عن التطرف والمغاليات، وهي في موضوع الطبقة تنطلق من فكرة التنوع البشري وترى أن "لابد من تنوع الصور وتعدد الطبقات"<sup>11</sup>.

ثم تنقل إلى موضوع الإستقرائية فتري أنها ظاهرة حتمية ترافق الطبيعة، وأن التفوق باق ما بقي البشر. ثم تنقل إلى موضوع العبودية والرق فتستعرض مراحلها عبر التاريخ، وتبين العوامل التي عملت على إلغاء ضروب العبودية وتدعيم قواعد التحرير، وهي ترى أن هذه العبودية مازالت تلاحق الإنسانية بصور مختلفة وأساليب شتى، قالت:

"السلاسل والقيود أقل رموز العبودية هؤلاء القيود في دماننا وأهلنا وأوطاننا. القيود في رغباتنا وجاتنا. القيود في بشرتنا... وإذا محيت من العبودية صورة رسمت أخرى، لأن أصل العبودية باق على كر الدهور، نحن العبودية الدائمة. نحن أودية الحياة المجوفة عند أقدام الروسي... ومن عجائب الطبيعة وضعها النقيض بجوار النقيض.... ما أقامت ارتفاعا إلا أوسعت تخومه تجويفا"<sup>12</sup>.

ومن العبودية تنتقل ميّ زيادة إلى الديمقراطية، فتعالجها تاريخيا وفلسفيا واجتماعيا وتبين أنها لم تحقق المساواة، تنتقل إلى الإشتراكية فتعرض مذاهبها وتنتهي من بحثها العميق إلى أن الإشتراكية لا تستطيع كذلك أن تحقق المساواة وتقول "أ ترى المساواة في سبك المسجد والطين في قلب واحد؟ وهل الإنصاف في تجريد الغني لتعطي المعدم؟ وهل الحرية في توحيد العقل الكبير والقلب النبيل مع الفكر السخيف والنفس الزحافة... الغد للإشتراكية بلا ريب، ولكنها ستغلب على أمرها بعد أن تنيل الإجتماع ما تستطيع أن تأتي به من التعديل، الغد للإشتراكية ولكنها لن تكون أوفي من الديمقراطية في تنعيم وعودها... الغد للإشتراكية ولكن ما بعد الغد لنظام آخر سوف ينبثق من قلب الإشتراكية التي هي مذهب إنساني، فهي بذلك خاضعة لطبيعي الإنسان تملأها الحسنات والسيئات ويستحيل فيها الكمال..."<sup>13</sup>.

أن ميّ زيادة كانت من الأدبيات التي ساهمت في أيقاظ حقوق المساواة بين الشعوب المختلفة حتى كتبت المقالات في الجرائد والفت على هذا الكتب المستقلة ومنهم الكتاب "المساواة" الذي نال شهرة في الشرق الأوسط وجعل الأدباء يكتبون عن هذا الكتاب وأيضاً عن موضوع المساواة.

#### الهوامش:

1. الأعلام، خير الدين الزركلي، ص 254، المجلد الخامس، دار العلم للملايين، بيروت.
2. ميّ زيادة، يا سميحة النهضة والحرية، خليل البيطار، ص 46، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية.
3. المرجع السابق، ص 55
4. ميّ زيادة في حياتها وأدبها، جميل جبر، دار بيروت.
5. المصدر السابق، ص 43.
6. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الحديثة، أنيس المقدسي، ص 476، دار العلم للملايين بيروت.
7. مجلة العربي، جمع حقوق النشر والاقتباس محفوظة، وزارة الإعلام، دولة الكويت، العدد 2.
8. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الحديثة، ص 476.
9. محاضرات عن ميّ زيادة، منصور فهمي، ص 146-161، جامعة الدول العربية، 1955م.
10. ميّ زيادة في حياتها وأثارها، ودادسكاكيني، ص 99-100، دار المعارف القاهرة.
11. المساواة، ميّ زيادة، ص 35، مؤسسة نوفل بيروت.
12. المرجع السابق، ص 64.
13. المرجع السابق، ص 119.

## مساهمة نواب صديق حسن خان في تطور اللغة العربية وعلم اللغة مع إشارة خاصة إلى "البلاغة في أصول اللغة" و"أبجد العلوم"

الدكتور منير أحمد مير<sup>74</sup>

### Abstract

One of the eminent scholar, writer and reformist in the domain of Indo-Arab literature "Nawab Saddique Hasan Khan" had mastery over Arabic, Urdu and Persian Languages. He wrote more than 200 books among them 56 books were written in Arabic language. He has contributed a lot to the various Islamic sciences in addition to all these compilations, He wrote on History, Arabic language and linguistics. Apart from all these he wrote many books on linguistics which are well accepted by the worldly known scholars of Arabic language and linguistics.

In this paper an attempt has been made to focus on his two Arabic books especially those written in linguistic sciences like "al-Bulgha Fi Usul-al-Lugha" and "Abjad al- Uloom

**Key words:** Indo-Arab literature, linguistics, Islamic science

### المدخل:

إن وجود اللغة العربية ومظهرها الوظيفي في شبه القارة الهندية له أهمية تاريخية كبيرة منذ أول عصر هجري إسلامي من العرب المسلمين، بدأ التجار أساساً بالوصول إلى المناطق الساحلية الغربية والجنوبية من الهند غير مقسمة، واتخذوا مبادرة لنشر الإسلام في شبه القارة الهندية في مسائل الشئون السياسية، وسيطروا على "السند" وأنشأوا الإدارة السياسية هناك. في هذا الاتصال، تجدر الإشارة إلى أن سفينة كاملة من النساء المسلمات مع بعض التجار المسافرين إلى العراق تعرضت لهجوم من قبل القراصنة من "ديبال" (Debal) وسرقوا ممتلكات هؤلاء التجار وجعلهم أسرى. وفي ظل هذه الظروف، صاحبت النساء مراراً وتكراراً "يا حجاج! يا حجاج! فهذه الأصوات للمظلومين والمظلومات وصلت إلى حجاج بن يوسف الذي حاول في البداية حل هذه المسألة دبلوماسياً وطلب من حاكم السند آنذاك "الملك ظاهر" (King Dahir) إطلاق سراحهم ولكن الملك أجاب أنه لا يمكن التدخل في هذه المسألة. وأخيراً في عام 1711م، أرسل حجاج بن يوسف الثقفي حملة عسكرية تحت راية محمد بن القاسم الثقفي الذي هزم الملك ظهير بشدة. وبعد ذلك جاء العديد من المسلمين العرب واستقروا هناك، واستعمارهم في السند جعلت أول العلاقات الهندية العربية الكبيرة. والمستمرة فيها يتعلق بالدين الإسلامي واللغة العربية كذلك<sup>2</sup> وهذه هي المرة، بدأ الإسلام جعل تأثيرها على الثقافات الهندية وبدأ العديد من الهنود في التحول إلى الإسلام. ومنذ ذلك الحين بدأ العصر العربي في السند وأصبح مركزاً ثقافياً ومركزاً إسلامياً، جاء العديد من علماء العرب العظام إلى تلك المنطقة وانتشروا العلوم الإسلامية<sup>3</sup>. اللغة العربية: بدأت تنتشر على طول مع العلوم الدينية الإسلامية الأخرى، وفي هذا الصدد نجد عدداً من العلماء العرب من الهند ومن بينهم "نواب صديق حسن خان" يعتبر واحداً من العلماء الأفاضل الكبار في القرن التاسع عشر.

<sup>74</sup> المحاضر بالكلية الحكومية في زرار، بدغام كشمير

وهو باحث بارز وكاتب ومصلح في الهند، ولد نواب صديق حسن خان في بلدة "بانس بارلي" في 14 أكتوبر 1832م والده سعيد أولاد حسن من سكان قنوج وتلقى تعليمه من شخصيات عظيمة مثل شيخ عبدالعزيز الدهلوي<sup>4</sup> وتزوج من عائلة نواب الشرف سيدة بهوبال اسمها أميرة شاهجهان بيغوم. ونتيجة ذلك كان يحمل لقب "أمير بهوبال" وكان نقطة التحول في حياته ولأنشطة التعليمية له كذلك. كما أنه من المعروف عن عمله الأدبي العظيم أنه أمر بنشر "تفسير ابن كثير" مع "فتح البيان" في مجلد واحد. وعلاوة على ذلك، اشترى نسخة من "فتح الباري" من العلامة ابن حجر عسقلاني ونشرها في بولاق من مصر.. وكانت كتبه مقبولة بشكل جيد من قبل الطلاب والمعلمين وكبار الكتاب أيضا في جميع أنحاء الدول العربية والإسلامية.

وباختصار، كان عالما عظيما حاول أن يحسن مستواه في إثراء اللغويات العربية في الهند في القرن التاسع عشر، وانتشرت شهرة وسمعة واسعة جدا وخاصة في مجال اللغويات العربية. ومنها "أبجد العلوم" قسم المؤلف هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول سماه الوشي المرقوم، في بيان أحوال العلوم، عرف في هذا القسم العلوم وبين ماهيتها وحقيقتها، ثم القسم الثاني وسماه السحاب المرقوم، الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم، بين في هذا القسم أقسام العلوم وعرف لكل علم؛ ثم القسم الثالث من الكتاب وسماه بالرحيق المختوم، من تراجم أئمة العلوم، وتحدث المؤلف في هذا القسم عن العلماء وترجم لمعظم العلماء في كل الفنون، كما ترجم لأهم الكتب التي ألفت في العلوم المختلفة؛ وبالجمل فالكاتب موسوعة كبيرة للعلوم بكل مناحيها المختلفة وهو لا يستغنى عنه طالب علم، لعظم فائدته، وغزير علمه.

و"البلاغة في أصول اللغة" الذي جمعه في اللغويات العربية. هذا كتاب ثمين في علم اللغة، كتبه نواب صديق حسن خان، ثم نشر في المطبع الجوائين دمشق عام 1296م. ويتألف من 188 صفحة، وأصبح مشهورا في جميع أنحاء العالم الإسلامي. ويتكون هذا الكتاب من مقدمة، وخاتمة. فهذا الكتاب على اللغويات العربية، اعجاز القرآن (Miracle of Quran) والعلوم المستمدة منها. وناقش في "مقدمة" وصف اللغة وبعض عناصرها وذكر المؤلف ميزة اللغويات، قائلا:

"أما فيما يتعلق بموقف اللغويات فيعلم أن اللغويات هي واحدة من أفضل العلوم وكذلك الفنون الأدبية التي تحتاج إلى مناقشة جيدة.....، كما أنه، يعطي معان مختلفة من القرآن الكريم وعلاوة على ذلك يسلط الضوء على الضمائر والأسرار وراء ذلك....."<sup>6</sup>.

ويستند الجزء الأول من هذا الكتاب إلى ملخص "المزهر في علم اللغة" للعلامة جلال الدين السيوطي. ووفقا لنواب صديق حسن خان فهو أول كتاب شامل عن مبدأ اللغة العربية. وقد ذكر في هذا الكتاب قائمة الكتب المكتوبة على علم اللغة. أما الجزء الثاني من هذا الكتاب فهو في مراجع المراجع من القواميس والكتب المكتوبة باللغات العربية والفارسية والتركية والهندية. وهو يحمل العديد من الخصائص، أولا وقبل كل شيء، يتم تجميعها بالتفصيل وقبل نشرها لا توجد كتب أخرى تناقش مثل هذه. ثانيا، هو مكتوب في ترتيب جيد، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه يستخدم كأداة لمساعدة الباحثين في علم وظائف الأعضاء المقارنة<sup>7</sup>.

أبجد العلوم: هذا هو واحد من الكتب الشهيرة التي كتبها صديق حسن خان. هذا الكتاب نشرت من أماكن مختلفة، في البداية تم نشره في صديقي الصحافة من بهوبال في 1295-1296م ونشرت بعد ذلك في "دار الكتب العلمية" بيروت، لبنان عام 1999م، ونشرت أيضا من مصر. وهذا الكتاب مقسمة إلى ثلاثة أقسام. يحتوي

الجزء الأول على 302 صفحة، الجزء الثاني 386 صفحة والجزء الثالث 368 صفحة. أما القسم الأول فيتعلق بالمعروفة وأنواعه ومواضيعه وأساسياته وأهدافه، وما إلى ذلك، ويناقش جوهر العلوم الإسلامية والكتب والكتابات والكتابة، وفي هذا الصدد، أظهر العلماء الإسلاميين ومساهماتهم في مختلف ميادينها، كما كتب عن الكتاب في وقت مبكر. القسم الثاني هو حول أنواع مختلفة من الفنون والعلوم، مكتوبة بشكل منهجي. ذكر بعض القضايا التي الكاتب السابق لم تلمس. في القسم الثالث، يناقش السيرة الذاتية لجميع اللغويين وفقا لفئة والفئة وتخصصهم: اللغويين (Linguists)، مورفولوجيستس (Morphologists)، النحويين (Grammarians) وغيرها<sup>8</sup>.

أسلوبه في الكتابة: علامة نواب صديق حسن خان كان كاتباً هندياً، وليست اللغة العربية لغته الأم ولكنه جاء بمهارة كبيرة في اللغة العربية وكذلك في مختلف المجالات. كان رائعاً جداً في شرح التعبيرات وحل الكلمات العربية المعقدة بطريقة بسيطة جداً وسهلة. أسلوب الكتابة له كان جيداً جداً مع تعبير سهل وتحقيق دقيق. وتتميز كتاباته العربية بسماته المميزة التي يمكن ملاحظتها في عشرات كتبه وخاصة تلك المكتوبة في العلوم اللغوية مثل "البلاغة في أصول اللغة" و"أبجد العلوم" وغيرهما وتعد هذان الكتابان مثالين مشرقين على أسلوب الكتابة الواضحة في المحتوى والسياق. يقول العلامة سليم البستاني عن أسلوبه في الكتابة العربية: "من بين البسمات البارزة في لغته العربية تعبيره البلاغي الذي لم يتم العثور عليه في معظم ما بعد الكلاسيكيين والكتاب الآخرين، وإذا كنت تستمع إلى كلماته العربية، وسوف تصور أنه كما لو كان ترعرع في اليمن. ويختار الكلمات المألوفة ويتجنب التعقيد باستخدام التعبيرات الصعبة".<sup>9</sup>

**الخلاصة:** قد نصل إلى استنتاج مفاده أن نواب صديق حسن خان كان عالماً بارزاً ساهم كثيراً في مجال اللغة العربية وعلم اللغة. وما أفادت كتبه اللغوية للهنود فقط بل أفادت أيضاً لغيرهم من الناس في العالم. ويمكن لنا أن نقارنه بالعلماء العظام، على سبيل المثال رفاعه الطهطاوي وأحمد فارس شدياق والشوقاني وغيرهم ممن سعوا إلى تطوير شكل حديث من اللغة العربية في بلدانهم. وبنفس الطريقة قدم الأستاذ نواب صديق حسن خان مساهمة مرموقة تقدر إلى حد لا حد له في مجال اللغة العربية وعلم اللغة في الهند.

### المصادر والمراجع

1. AL DAIE Arabic Monthly vol no. 11, issue no 34, Oct. Nov 2010, Mohd. Sazid Qasmi on: Muhammad Bin Qasim AL-Thaqafi Hamilu Liwae al-islam, illa Shibhi al-qarra al-Hindia.
2. Journal of the American Oriental society, 2007, Arabic in india: Asurvey and classification of its uses, compared with Persian. Tahera Qutbuddin. P.No 315.
3. تطور الأدب العربي ومركزها في الهند. ص 5.
4. Prof. Jamaluddin Farooqi and others. Eminent writers in Indo-Arab literature, P.No.84
5. البلاغة في أصول اللغة. ص 3.
6. المصدر نفسه، ص 4.
7. Arabic language and literature in India (Reality and Prospects), Osmania University Hyderabad, P.No. 114-115
8. أبجد العلوم، جلد 1، ص 14-15.
9. Arabic language and literature in India (Reality and Prospects), Osmania university Hyderabad, P.No> 119

## مساهمة محمد مندور

في مجال النقد الأدبي في العصر الحديث

<sup>75</sup> چشمه كوثر

ckousar48@gmail.com

محمد عبد الحميد موسي مندور (1907م-1965م) أديب مصري ساهم في مجالات مختلفة من الأدب والنقد واللغة. ولم يمنعه انشغاله في ميدان التأليف والتصنيف عن القيام بالخدمات الجليلة في مجال التدريس إضافة إلى إسهاماته في الصحافة. ولد بالشرقية في 5 يوليو 1907م والتحق بكلية الحقوق وقت افتتاح الجامعة المصرية عام 1925م ثم درس بكلية الآداب قسم الاجتماع وقسم اللغة العربية و حصل على ليسانس الآداب عام 1929م و ليسانس الحقوق عام 1930م. يعتبر محمد مندور أحد أبرز نقاد الأدب العرب المجددين في العصر الحديث<sup>(1)</sup>.

النقد الأدبي عند محمد مندور:

قد ساهم مندور في مجال الأدب النقدي مساهمة جوهرية في تاريخ النقد العربي، وعالج النقد النظري واضعاً مفاهيمه في الأدب والنقد. كما اهتم بالنقد التطبيقي الموضوعي، فمارس النص الأدبي بالاعتماد على مقاييس جديدة، هذا وإن أول كتابات مندور هي كتابات نقدية نظرية. فلقد بدأ ناقداً، وتخصص في هذا المجال خلفاً عديداً من الكتب<sup>(2)</sup>.

النقد المنهجي عند العرب:

إن كتاب النقد المنهجي عند العرب هو في الأصل بحث تقدم به محمد مندور لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب حين عاد من أوروبا سنة 1939هـ وأغلقت أمام وجهه أبواب الجامعة لأنه لا يحمل هذه الشهادة. فقرر عندئذ أن يعدها، واختار الأستاذ أحمد أمين مشرفاً عليه. وانتهى منها في نفس العام الذي بدأ فيه، أي سنة 1943هـ، وذلك قبل عام واحد من تخليه عن التدريس في الجامعة، وترك أمر الأدب ليتفرغ للصحافة. كان موضوع لأطروحته الذي اختاره "تيارات النقد العربي في القرن الرابع الهجري" وليس عجباً أن يختار هذا الموضوع مادام قد قرر أن يتخذ النقد مجالاً لإختصاصه ونشاطه. وركز بحثه على ناقلين كبيرين هما الأمدي صاحب "الموازنة بين الطائفتين"<sup>(3)</sup> والقاضي أبو الحسن الجرجاني صاحب "الوساطة بين المتنبي وخصومه"<sup>(4)</sup> ولكنه انطلق في بحثه من البداية فتعرض إلى أول كتاب في النقد وتاريخ الأدب وهو طبقات الشعر لابن سلام جمعي<sup>(5)</sup> وواصل دراسته منتهياً إلى أبي هلال العسكري صاحب "سر الصناعتين"<sup>(6)</sup> الذي تحول النقد على يده إلى بلاغة، ثم أخيراً عبد القاهر الجرجاني. وخلال هذه المرحلة الطويلة عرضت لمندور جملة من المسائل الأدبية والنقدية الهامة مما كوّن له علاقة

<sup>75</sup> الباحثة في قسم اللغة العربية وأدائها بجامعة بابا غلام شاه بادشاه راجوري جامو وكشمير الهند

بعلوم اللغة العربية المختلفة ، و تاريخ نشأتها، والبديع والمعاني والبيان بالإضافة الى جملة من النظريات العامة في الأدب.

ولقد كان مندور خلال بحثه مع النقد الأدبي العربي يبحث عما يسميه هو بالنقد المنهجي ، فالتزم لذلك بالمنهج التاريخي الذي يتبع الظواهر في مسارها المكاني والزمني ، فذهب الى أن النقد العربي نشأ عربيا وظل عربيا صرفا ، وهذا ما يؤكد تاريخ كل الأمم القديمة من أن الدراسات التاريخية المنظمة لم تنشأ إلا بعد أن اجتمع لدى كل أمة تراث شعرت بالحاجة الى مراجعته.<sup>(7)</sup>

والنقد العربي في نشأته كان ذوقيا محضا لا تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية مما جعله جزئيا مسرفا في التعميم، وهذا ما قاده الى أهم عيوبه وهو فقدان المنهج . ولم يصبح النقد منهجيا إلا في القرن الرابع عند الأمدي والقاضي الجرجاني .و على هذا الأساس يخرج مندور جهود العرب حتى أواخر القرن الثالث من اطار النقد المنهجي، فابن سلام (طبقات فحول الشعراء) وابن قتيبة (الشعر والشعراء) وغيرهما هم مؤرخو أدب أكثر منهم نقاد<sup>(8)</sup>.

ولم يبدأ النقد بمعناه الحقيقي إلا في القرن الرابع كما ذكرنا، وبعد تبلور مذهب المحدثين في مبادئ نظرية صاغها ابن المعتز في (كتاب البديع)، فساعد بعمله هذا على خلق النقد المنهجي بتحديد خصائص مذهب البديع ، ووضعه اصطلاحات لتلك الخصائص. و لو لم يكن لابن المعتز من فضل غير تحديد المصطلحات لكفاه ذلك أن يتمتع في تاريخ النقد العربي بمكانة هامة<sup>(9)</sup>.

أما قدامة بن جعفر (275هـ-337هـ) فقد ظلت محاولته شكلية عميقة (زهى لم تدخل يوما في التيار النقد العربي). ومن حسن حظ النقاد أنهم لم يتأثرو بهو إنما تأثرو بكتاب البديع الذي بقي مبدأ حركة النقد في أوائل القرن الثالث وخلال القرن الرابع الهجري كله<sup>(10)</sup>. ويفرغ مندور من التراث النقدي للقرن الثالث والنصف الأول من الرابع ، وينطلق إلى الأخير من الرابع حيث يواجه ما يعدّه هو قمة الإنجاز النقدي عند العرب ، وذلك من خلال كتاب الأمدي والجرجاني. أما الأمدي فهو في رأي مندور أكبر الناقدين عرفه الأدب العربي ومنهجه منهج علمي سليم و منهج ناقد يرفض كل تعميم مخل ، ويقصر أحكامه على ما يعرض له من تفاصيل. وأما وسائل نقده ما دام لكل منهج روح ووسائل – فهي المعرفة والذوق. وهو في الكثير من نقده يقوم على معان إنسانية وذوق دقيق و إدراك لتزعات النفوس. وأما الجرجاني (290هـ-392هـ) فهو ناقد إنساني ترجع مقاييس الجودة عنده الى الخلو من الإبتذال و تأثير في النفس السامع و هزها ، وهذا لا يكون إلا بما في الشعر من عناصر إنسانية . وهو في نقده عالم ثبت متواضع حذر دقيق، ولغته النقدية لغة القضاة. وأساس النقد في كتابين كليهما هو الذوق المدرب المعلن ومقاييسهما مقاييس لغوية وشعرية وبيانية وإنسانية وهما متكاملان فإذا كان الأمدي ناقدا فنانا يغلب عليه النقد الفني الخالص وكان الجرجاني ناقد إنساني<sup>(11)</sup>.

وأما عن ابن قتيبة قال : هو لم ينقد النصوص نقدا موضوعيا تحليليا . إنما أورد في كتابه "الشعر و الشعراء" أخبارا وقصصا عن الشعراء المختلفين ، ثم بعضا من أشعارهم دزن مناقشة ولا حكم إلا أن يكون حكما تقليديا يرويه عن غيره ولا فضل له فيه ، وإنما عرض لنقد الشعر في مقدمته حيث نجد بعض المسائل الأدبية العامة وبعض المقاييس في حكم على الشعر<sup>(12)</sup> ووضع ضوابط الناقد بالقياس على ابن قتيبة والإستنتاج عليه ، وقال أيضا " و ابن قتيبة على كل هذا ليس ناقد، إنما الناقد هو الرجل الذي يتناول النصوص بدراستها ويميز بين أساليبها. وختم في ذلك الفصل بأن النقد عند العرب كان نقدا ذوقيا صرفا يعني نقدا جزئيا ليس بمعنى النقد الذي عرف في القرن الرابع وما بعده.

وبعد هذا الفصل بدأ الكلام عن مذهب البديع وتأثيره في تطور النقد في القرن الرابع الهجري وأخذ ابن المعتز وصاحب "نقد الشعر" نموزجا حيث استفتح بكلام لعبد الله ابن المعتز الذي فيه إسقاط لأبي تمام من شرف إختراع البديع ، بل جعل القرآن الأولى بالشرف ثم السنة ثم الشعر المتقدمين.<sup>(13)</sup> قولب مندور أفكار ابن المعتز في ثلاثة أشياء مختلفة قائلا إنها صارت خصائصا للمذهب الجديد وراح يبحر في حقائق أن الإسلام لم يحدث تغيرا في تقاليد الشعر كما فعلت المسيحية بالأدب القديم خلال القرون الوسطى ، إنما عندما جاء العصر الذهبي (العباسي) اتسعت دائرة الأدب والنقد وتأثر بالروافد الوافدة من المشرق والمغرب ، وظهر الناس يواجهون إلى التجديد إلا أن أبا تمام أراد التجديد على حد تعبير الأمدي لكنه لم يستطع الإفلات من التقاليد الشعرية القديمة إلا في الصياغة.<sup>(14)</sup>

وأما قدامة ابن جعفر في نظارة مندور ألف كتابه على بنية هيكلية منطقية مجردة سلبت جمالية الشعر ، ولحسن حظه كان تأليفه عبارة عن وضع حدود لبعض الإصطلاحات وتحديد بعض الظواهر (والذين أخذوا بأقوال قدامة ليسوا نقادا مثل الأمدي والجرجاني، إنما علماء البلاغة في القرون التالية . وقول مندور عن مؤلفات أصحاب البديع \_ أنها ليست من كتب النقد في شيء ن لأنها ذخيرة علمية و هدفها إيضاح المبادئ ووضع التقسيمات ، بعيدا عن تحليل الأبيات ذاتها، إلا أنه لم يخفي ما لابن المعتز من فضل في تحريك النقد وتوجيهه ، وخلق أهداف للخصومة بين القدماء والمحدثين وخصائص ذلك المذهب الجديد الذي اقتتل حوله أدباء القرن الرابع كلهم.<sup>(15)</sup>

وبعد تأمل يمكن القول أن مندور يبدو تأثيرا لأنه يحكم الذوق ويفضل الأسلوب الجمالي، وهو في هذا الإتجاه يلتقي مع الناقد العربي القديم الأمدي لأنه فطن إلى حدود استعمال اللغة كوسيلة لغاية أدبية فهي أيضا غاية في حد ذاتها دون أن تطغى إحداها على الأخرى. فيقول: (والكاتب أو الشاعر الماهر هو من فطن إلى هذه الحقيقة، ويكون من حسن الذوق وسلامة الحس، بحيث يقيم النسب الدقيق بين اللغة كوسيلة واللغة كغاية في الأدب، فلا يسرف في اعتبارها وسيلة لأنه يحرم نفسه من عناصر هامة في التأثير، عناصر التصوير، وعناصر الموسيقى، وكذلك يحذر من أن ينظر إليها كغاية فيأتي أدبه أو شعره، وقد غلبت عليه اللفظية وخلا من كل ماله إنسانية فكرا وإحساسا ومشكلة كهذه" أي حدود اللغة

كوسيلة لغاية" لا يمكن أن تحل نظريا، كما يرى مندور وإنما يكتسب الإنسان إحساسا صادقا بحدودها بكثرة الممران على النقد والنظر في مؤلفات كبار الكتاب والشعراء الذين نجحوا في هذا السبيل). وهو يقصد الأمدي بالطبع وقد نقل عنه الكثير من مجلدات البيانين. فهو تدريب للذوق و تبصير بمواضعه. ويلحق القاضي عبد العزيز الجرجاني بالأمدي في مسألة الذوق. فكلاهما يفضل الشعر المطبوع على الصنعة. إلا أن ما يمكن أن نميز به الجرجاني عن الأمدي أنه مشهور بنزعته الإنسانية التي يرد إليها الكثير من آرائه في النقد. وهو في ذلك يختلف عن الأمدي الذي يغلب عليه النقد الفني الخالص، نقد الصياغة في ذاتها وفي علاقتها بطرق أدائها.<sup>(16)</sup>

وتكلم في الشعر كما تعرض له ابن المعتز وطبيعته قديما فقال ( لا يقول إلا على قريحة ولا يعتصم إلا بخاطره ولا يستقي إلا من قلبه)، و يستنير مندور في هذا الموقف أيضا بمحاولة القاضي عبد العزيز الجرجاني في فهم جماليات الشعر: فعبد العزيز الجرجاني في نظر مندور يفرق بين نوعين من الجمال في الشعر والأدب: (أحدهما ظاهر شكلي تخطيطي سقيم، وهو يصدر عن البديع بما فيه من تجنيس و ترصيع و مطابقة. وهذا هو لسوء الحظ ما غلب على الشعر العربي المتأخر منذ أن أعجب به المحدثون، وهو ما توفرت على دراسة البلاغة العربي في معظم أجزائها فأفسدت الذوق وردت الجمال إلى أوجه بديعية سقيمة)، أما الثاني فيراه (أعمق من الأول في الشاعرية والصدق وألصق بالقلوب. إنه الشعر الذي تحصل جماله الصدور ولا تحسه النواظر ذلك الذي... تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة.<sup>(17)</sup> ولئن كان كتاب النقد المنهجي عند العرب ظاهرة تاريخا للنقد العربي فإنه في جوهره قراءة جديدة للتراث النقدي بعين غربية إنسانية ذوقية. ويهمننا من خلال قراءته للنقد العربي - أسس منهجه النقدي؟ ومن هذه الزوايا يتكامل كتابا مندور ( في الميزان الجديد) و (النقد المنهجي عند العرب ) من حيث انهما يصبان في مجري واحد وهو تصور مندور لمنهج النقد، ومن حيث إنهما شاهدان على آرائه ونزعته الجمالية الإنسانية في النقد.<sup>(18)</sup>

على أننا نريد أن نضيف أمرا هاما وهو اقدام مندور على ترجمة مقالي لانسون ومييه، وضمهما معا في كتاب واحد بعنوان "منهج البحث في الأدب واللغة" نشره عام 1946 ولكنه يعود فيما بعد فيجمع هذا الكتاب مع النقد المنهجي في طبعة واحدة و مجلد واحد. و وراء هذا الجمع اسباب موضوعية جوهرية ، فأحدهما يبحث في التراث والآخر يبحث في تجارب الأوروبيين في مجال الأدب واللغة. فيكون مندور قد جمع بين القديم والجديد، فيكون بذلك قد استفاد من دراسة تراثنا العربي القديم ثم إستكمل تلك الفائدة وهذا هو النقص بآخر ما وصل إليه العلم الحديث في مجال الأدب والنقد في عصره.

## الحواشي:

1. محمد مندور شيخ النقاد، فؤاد قنديل، مركز الحضارة العربية، ط 2، القاهرة 2000م، ص 7
2. النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1973م، ص 63
3. النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور، دار النهضة مصر، طبعة جديدة 2007، ص 99-170
4. نفس المرجع ، الفصل السادس ص 249-307
5. نفس المرجع ، الفصل الأول ، ص 18-22
6. نفس المرجع ، الفصل السابع ، ص 320-332
7. نفس المرجع ، ص 332-340
8. نفس المرجع ، ص 15
9. نفس المرجع ، ص 9
10. نفس المرجع ، الفصل الثاني ، ص 51-67
11. النقد المنهجي عند العرب ص 67-74
12. نفس المرجع 72
13. نفس المرجع 73
14. نفس المرجع ص 31
15. نفس المرجع ص 48
16. نفس المرجع ص 50
17. نفس المرجع ص 53
18. النقد المنهجي عند العرب، الفصل السابع ( تحول النقد إلى بلاغة ، ص 32.

## المصادر والمراجع:

- احمد الإسكندري، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف بمصر، ط 1، 1916م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب الدكتور احسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط 2، 1992م.
- الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، تأليف حنا الفاخوري دار الجيل، بيروت، لبنان ، 8619 م.
- محمد مندور ونقد الشعر، ربيع عبد العزيز، دار رياض الصالحين، الطبعة الأولى، 1314 هـ 1994م.
- خفاجي، عبد المنعم، الأدب العربي الحديث، القاهرة، مكتبة الكلمات الأزهرية 1960م.
- في النقد الأدبي، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، 1962م.
- محمد مندور شيخ النقاد، فؤاد قنديل، مركز الحضارة العربية، ط 2، القاهرة 2000م.
- محمد مندور وتنظير النقد الأدبي. د. محمد برادة، دار الآداب، بيروت.
- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1973م، ص 63.
- النقد الأدبي، أحمد أمين، القاهرة 1952م.
- النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور، دار النهضة مصر، طبعة جديدة (د.ت)، الفصل الرابع، 2007.
- النقد المنهجي عند العرب. د. محمد مندور. ط 2، القاهرة، دار نهضة مصر، 1969م